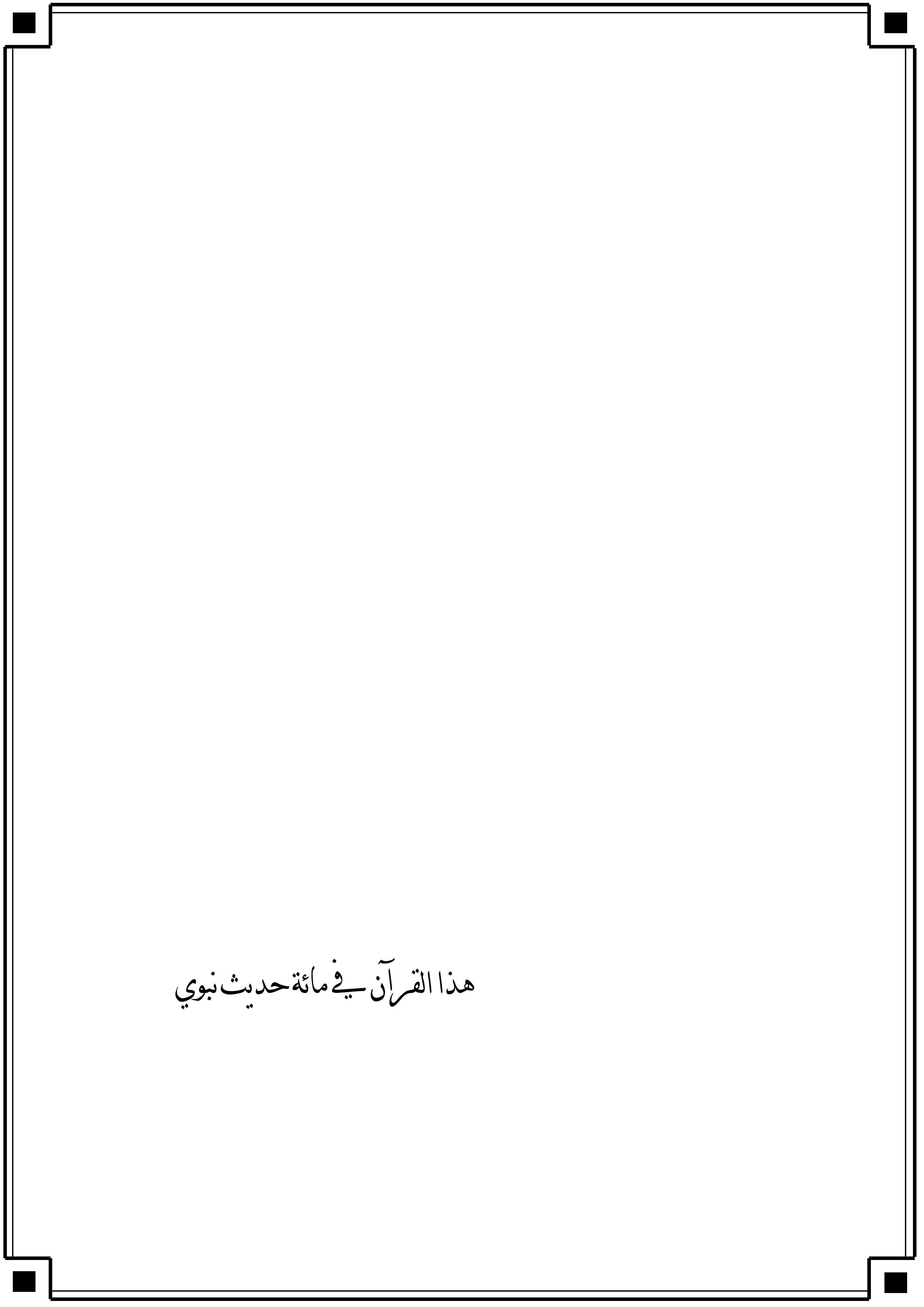


هذا القرآن في مائة حديث نبوي

الطبعة الثالثة

١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(٢٠١٥/١١/٥٥٨٦)

٢٣٧,١
خضر، محمد زكي
هذا القرآن في مائة حديث نبوي/ محمد زكي خضر_ عمان: دار المأمون للنشر والتوزيع، ٢٠١٥.
(١٢٤) ص
ر.أ: (٥٥٨٦/ ١١/ ٢٠١٥).
الواصفات:/ الحديث الشريف/ / القرآن الكريم/

❖ يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبّر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.

ISBN 978-9957-77-403-5 (ردمك)

دار المأمون للنشر والتوزيع
العبدلي - عمارة جوهرة القدس
تلفاكس: ٤٦٤٥٧٥٧
ص.ب: ٩٢٧٨٠٢ عمان ١١١٩٠ الأردن
E-mail : daralmamoun2005@hotmail.com

هذا القرآن

في مائة حديث نبوي

الدكتور

محمد زكي محمد خضر

الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م

الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ ١٩٨٧م

الطبعة الثالثة ١٤٣٦هـ ٢٠١٥م



دار المأمون للنشر والتوزيع

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تقديم الطبعة الثالثة

الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد، فإن أصدق الحديث كتاب الله عز وجل: هو القول الفصل، ليس بالهزل. أما وقد اتخذ عامة المسلمين هذا القرآن مهجورًا، فلا أقل من التذكير بفضائله فإن الذكرى تنفع المؤمنين.

في هذا الكتاب مائة من أحاديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، تم تبويبها في تسعة أبواب.

تحوي المجموعة الأولى سبعة أحاديث في فضائل تلاوة القرآن ومكانة قارئه عند الله في الدنيا والآخرة. وتضم المجموعة الثانية تسعة أحاديث في تعلم القرآن، بينما تحوي المجموعة الثالثة على ثمانية أحاديث أخرى في حفظ القرآن واستظهاره والحذر من نسيانه وفضائل من يحفظ القرآن. أما لب الكتاب فهو في الباب الرابع ألا وهو العمل بالقرآن. حيث احتوى هذا الباب على خمسة عشر حديثًا في فضائل العمل بالقرآن وإحلال حلاله وتحريم حرامه والتمسك به والتحذير من ترك العمل به والإعراض عنه، فهو وصية الله تعالى ورسوله في المسلمين.

وتحوي المجموعة الخامسة من الأحاديث اثني عشر حديثًا في كيفية تلاوة القرآن والإعتناء بترتيله وتجويده والاستماع والإنصات والخشوع عند سماعه. وفي الباب

السادس مجموعة من ثمانية أحاديث في أوراد القرآن وختمه وتحزيبه والدعاء عند ختمه في ما أثِرَ عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأفضل تلاوة القرآن في الصلاة. ففي الأحاديث من ستين إلى واحد وسبعين بعض ما روي عن تلاوة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الصلوات الخمس والسنن والنوافل وعن سجود التلاوة. وقد اختصت بعض سور القرآن الكريم بفضائل على غيرها. من هذه السور الفاتحة والبقرة وآل عمران والكهف ويس والدخان والواقعة والإسراء والزمر والملك والزلزلة والإخلاص والمعوذتين والكافرون. ومن الآيات الكرسي وخواتيم سورة البقرة وخواتيم سورة الحشر. وهذه السور والآيات هي موضوع الباب الثامن الذي يضم واحدًا وعشرين حديثًا والمجموعة الأخيرة من الأحاديث تتكون من ثمانية أحاديث موضوعها الرقية بالقرآن وأخذ الأجر على تلاوته. وقد إحتوى كذلك في شرح هذه الأحاديث أحاديث أخرى صحيحة.

هذا الكتاب ليس شرحًا للأحاديث الواردة فيه بل هو سرد لمأثورات وتأملات توحيها هذه الأحاديث النبوية الشريفة. ومن أراد المزيد فليرجع إلى أمهات كتب الحديث وشروحها وكتب التفسير. وحسب هذا الكتاب أن يلفت الأنظار إلى أهمية تلاوة كتاب الله وتعلمه وحفظه والعمل به فمن رأى أنه لم يؤد حق كتاب الله كما أمر الله تعالى فعليه أن يعقد العزم على أن يتوب إلى الله وينيب إليه ويسعى إلى رضاه ويخلص النية لله تعالى وحده وسيجد القرب من الله،فالله أشد سعيًا نحو العبد من سعي العبد نحو ربه.

تبلغ الأحاديث الواردة في فضائل القرآن الكريم وتفسيره المئات بل ربما الآلاف. وما اختير هنا ما هو إلاّ أشهرها. ولم نتطرق إلى شيء من التفسير لأن ذلك تختص به كتب التفسير وكتب الحديث المطولة. إن معظم الأحاديث الواردة هنا أحاديث ثابتة

الصحة، والقليل منه الذي ضعفه بعض العلماء هو في فضائل الأعمال وما كان كذلك يعمل به وإن كان ضعيفًا. وقد أضيف في هذه الطبعة تخريج الأحاديث واستبدال بعض من الأحاديث الضعيفة التي وردت في الطبعتين السابقتين.

لا يكاد يخلو هذا الكتاب من هفوات ونقائص شأنه شأن كل كتاب من تأليف البشر. أما كتاب الله تعالى فهو الكتاب الوحيد الذي يخلو من نقص أو خطأ. فمن وجد في هذا الكتاب خيرًا فليحمد الله تعالى ويدعوه تعالى بالقبول ومن وجد غير ذلك فليدع الله تعالى أن يغفر الزلات ويسدد العثرات ولله الأمر من قبل ومن بعد.

المؤلف

الباب الأول

فضائل تلاوة القرآن

قال الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢] فتلاوة آيات القرآن العظيم تزيد المؤمنين إيمانا.

١- عن عبد الله بن عباس(١) رضي الله عنهما قال: قال رجل يا رسول الله: أي العمل أحب إلى الله؟ قال: «الحال المرتحل». قال وما الحال المرتحل؟ قال: «الذي يضرب من أول القرآن كلما حل ارتحل» **رواه الترمذي**(٢).

في حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هذا تبيان لفضيلة الشغف

---

(١) هو عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، إبن عم رسول الله ﷺ. ولد وبنو هاشم بالشعب قبل الهجرة بثلاث سنين، دعا له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأن يعلمه الله الحكمة ويفقهه في الدين ويعلمه التأويل وكان من أعلم الصحابة توفي عام ٦٨ هـ.

(٢) وقال حديث غريب لا نعرفه من حديث ابن عباس إلاّ من هذا الوجه وإسناده ليس بالقوي ثم أخرجه عن محمد بن بشار بنحوه وقال هذا عندي أصح وأخرجه الدارمي والطبراني في الكبير والحاكم وقد روى الحافظ أبو عمرو بإسناد صحيح عن الأعمش عن إبراهيم قال يستحبون إذا ختموا القرآن أن يقرءوا من أوله آيات وهذا صريح في صحة ما ذهب اليه السلف.

بتلاوة القرآن مرة بعد أخرى كلما وجد المرء إلى ذلك سبيلاً. وهو يشير فيما يشير إليه إلى فضيلة اتخاذ ورد مستمر من القرآن الكريم. وقيل إن المراد بالحال المرتحل الحث على تكرار الختم ختمة بعد أخرى، ويستحب إذا ختم القرآن وقرأ المعوذتين أن يقرأ الفاتحة وخمس آيات من أول سورة البقرة إلى قوله تعالى ﴿هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾، لكي يتم المعنى الحرفي للحديث الشريف هذا بأن لا ينهي ختمة إلاّ ويبدأ بالأخرى كمثل الذي لا يلبث أن يرتحل كلما حل مكانًا بعد ترحال.

إن هناك العديد من الأحاديث الشريفة التي تذكر أفضل الأعمال، مثل «أفضل الأعمال إلى الله أدومها وإن قل»(١). وهذا الحديث يعضد حديث الحال المرتحل لأنه حديث عام عن أفضلية الأعمال المستمرة على الأعمال المتقطعة وحديث الحال المرتحل يحدد فضل استمرار تلاوة القرآن.

كما أن هناك أحاديث أخرى تحدد أفضل الأعمال بالجهاد في سبيل الله أو بالحج المبرور وغيرها. ويمكن الجمع بين هذه الأحاديث جميعًا بأن هناك أعمالاً مؤقتة هي أفضل من غيرها في أوقات محددة. فإذا حضر الجهاد فهو أفضل عمل حتى من تلاوة القرآن أو الصلاة، وإذا وجب الحج فهو أفضل الأعمال ولا يمنع أداؤه من تلاوة القرآن لذلك فإن هذا الحديث حين يشير إلى فضل الاستغراق بتلاوة القرآن لا ينفي فضل أعمال أخرى كما أن إجابات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لمن يسأل من أصحابه كانت أحيانًا بحسب حال السائل. فرب سائل قد حج مرات ومرات يكون استغراقه بتلاوة القرآن أفضل، ورب سائل عند حضور ساعة الجهاد وهو متردد في المشاركة فيه فيكون الجهاد له أفضل الأعمال. ويفهم من الحديث أن للتلاوة

---

(١) متفق عليه.

فضلاً على غيرها من الأعمال بسبب قرب الإنسان من كتاب الله تعالى الذي هو مفتاح كل خير. وفيه ذكر كل الأعمال الصالحة. كما أن الاستمرار بالتلاوة يجعل المرء بصيرًا بنفسه ومراقبًا لها لأنه دائم المرور على آيات الوعد والوعيد ومن كان كذلك فأحرى به أن يتذكر ربه ويحسِّن عمله بين تلاوة وأخرى.

٢- عن عبد الله بن مسعود(١) رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «من قرأ حرفًا من كتاب الله فله به حسنة. والحسنة بعشر أمثالها لا أقول ألف لام ميم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف» رواه الترمذي(٢).

مضاعفة الحسنات بعشر أمثالها ثابتة في كتاب الله تعالى بقوله ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[الأنعام: ١٦٠].

وهذا الحديث يثبت أن كل حرف من كتاب الله تعالى هو حسنة تضاعف بعشر أمثالها كقاعدة وفق الآية الكريمة السابق ذكرها. وهذا لا يناقض أحاديث أخرى تشير إلى أن الله تعالى يضاعف الحسنات بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف أو ربما أكثر. فالحسنات تضاعف أضعافًا مضاعفة إن أخلصت النية لله تعالى وإن تسببت في حسنات أخر.

وهذا الحديث يشير في بعض ما يشير إليه خصوصًا إلى الحروف من أوائل السور

(١) هو عبد الله بن مسعود الهذلي من أوائل من أسلم في مكة وهاجر الهجرتين وشهد بدرًا والمشاهد بعدها ولازم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وحدث عنه بالكثير وكان من علماء الصحابة ومن أزهدهم في الدنيا، توفي في آخر خلافة عمر بن الخطاب.

(٢) والدارمي وقال محقق جامع الأصول وهو حديث صحيح وصححه المنذري والإشبيلي والألباني.

مثالاً لا حصرًا. هذه الحروف القليلة التي لا يدرك معناها أغلب الناس لهم بتلاوتها حسنات مضاعفة رغم عدم فهم معناها. وهي في الوقت نفسه تثير بالنفوس معانٍ وإشارات لا حصر لها فكيف بغيرها من آيات الله المحكمات البينات.

قال سهل بن عبد الله التستري[1] رضي الله عنه: لو أعطي العبد لكل حرف من القرآن ألف فهم لما بلغ نهاية ما جعل الله تعالى في آية من كتاب الله تعالى من الفهم لأنه كلام الله تعالى وصفته وكما أنه ليس لله نهاية فكذلك لا نهاية لفهم كلامه وإنما يفهمون على مقدار ما يفتح الله تعالى على قلوب أوليائه من فهم كلامه.

ولقد استنبط سلف الأمة الصالح من كتاب الله تعالى علومًا جمة أوّلها علوم القرآن بما فيها من أسباب النزول وعلوم القراءات والتجويد والناسخ والمنسوخ وغريب القرآن وخطوط القرآن وإعراب القرآن وترتيب النزول وقصص القرآن وأمثال القرآن وإعجاز القرآن وأحكام القرآن وإحصاء سوره وآياته وحروفه.

كل هذا إضافة إلى علوم التفسير وكل العلوم الشرعية الأخرى من فقه وعقائد وغيرها. فكلها أساسها القرآن. وإن في القرآن إشارات إلى كل العلوم حتى المادية والطبيعية كالفلك والرياضيات والإحصاء والطب والهندسة وعلوم النفس والاجتماع والتأريخ، إلاّ أن الكتاب الكريم ليس كتابًا متخصصًا في أي منها فهو كتاب لهداية البشر إلى الصراط المستقيم كما قال الله تعالى ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥]. فهو ليس لتعليمهم

(١) أبو محمد سهل بن عبد الله التستري من أكابر علماء الإخلاص وكان يقول أصولنا سبعة: التمسك بكتاب الله والاقتداء بسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأكل الحلال وكف الأذى واجتناب المعاصي والتوبة وأداء الحقوق. توفي سنة ٢٨٣ هـ.

علمًا خاصًا من هذه العلوم رغم عدم تفريطه في شيء كما قال تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨] وقوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩].

قال بعض العلماء(١): إن تحت كل حرف من كتاب الله كثيرًا من الفهم مذخورًا لأهله على مقدار ما قسم لهم من ذلك واستدلوا على ذلك بآيات من القرآن مثل قوله عز وجل: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨] وقوله: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: ١٢] وقوله: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الحجر: ٢١]. وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: من أراد علم الأولين والآخرين فليتدبر القرآن.

٣- عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «إقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لصاحبه» **رواه مسلم**.

صاحب القرآن هو من يحب القرآن ويشغف بتلاوته ويعتبره صاحبًا له ورفيقًا له ومحبًا له فالصاحب يأنس بصاحبه ويحبه ويحب ملازمته وصحبته كل وقت وحين. ومن يصاحب القرآن لا بد وأن يحفظ منه الكثير.قال بعض العلماء: هذا القرآن رسائل أتتنا من قبل ربنا عز وجل بعهوده نتدبرها في الصلوات ونقف عليها في الخلوات وننفذها في الطاعات والسنن المتبعات. هذه الآيات هي نور منزل من الله تعالى. كما قال عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١٧٤].

(١) الطوسي في كتاب اللمع صفحة ١٠٦.

والقرآن شافع مشفع بإذن الله تعالى. قال الله تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. والشفاعة هي الطلب من الله تعالى من قبل الشفيع أن يعفو عن سيئات المشفوع له وأن يرفع من مقامه يوم القيامة وأن يدخله الجنة ويصرف عنه عذاب النار. وما أحرى بالقرآن أن يشفع لقارئه يوم القيامة جزاء قراءته له في هذه الدنيا بل أن قارئ القرآن نفسه قد يرفع الله من درجاته ويؤهله لكي يشفع لغيره كما سيأتي ذلك في حديث لاحق. وللشفاعة ميزات منها:

أ) الشفيع يستأذن ربه بالشفاعة ولا يشفع أحد إلا بإذن مولاه بعد طلب ذلك أو ابتداء من عند الله بإذنه له.

ب) لا تتم الشفاعة إلاّ بسبب يؤهل المشفوع له أن ينال الشفاعة.

ج) الشفاعة زيادة في إثبات رحمة الله تعالى وليست وسيلة في استثناء بعض الناس من أن تنالهم عدالة الله تعالى.

د) الشفيع من بين المخلوقين ليس معبودًا من دون الله أو شريكًا له ولا يملك لنفسه ضرًا ولا نفعًا والمخلوق المشفع لا يمنع أن تكون له مكانة خاصة عند الله قد وهبها له مولاه تؤهله للشفاعة. وقد يكون الشفيع كتاب الله أو عمل المرء نفسه ككثرة الصيام أو الصدقة أو غيرها من صالح الأعمال.

وشفاعة القرآن لصاحب القرآن سواء فهم المعنى ام لم يفهم ما دام صاحبًا للقرآن كما ورد في هذا الحديث.

تلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه على المنبر قوله تعالى ﴿فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا حَبّٗا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبٗا وَقَضۡبٗا ﴿٢٨﴾ وَزَيۡتُونٗا وَنَخۡلٗا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلۡبٗا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةٗ وَأَبّٗا﴾ [عبس: ٢٧-٣١]

فسأل نفسه وهو العربي الأصيل، قد علمنا الفاكهة فما الأبّ[1]؟ ثم عاد لنفسه قائلاً: وما يَضُرُّ ابن الخطاب أن لا يعلم ما الأبّ؟ تالله إن هذا لمن التكلف[2] الذي نهينا عنه. وهكذا آمن السلف الصالح بالقرآن سواء عرفوا المعنى الدقيق أم لا، ما داموا قد أيقنوا أنه كلام الله تعالى وما داموا لم يهملوا تطبيق أحكامه وأوامره.

٤- عن أبي موسى[3] رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال:

«مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأُترُجَّة ريحها طيّب وطعمها طيّب ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن مثل التمرة لا ريح لها وطعمها حلو ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن مثل الحنظلة لا ريح لها وطعمها مر» **رواه الخمسة**[4].

يلاحظ في هذا الحديث نوعان من التشبيه: أحدهما بالريح الطيبة والثاني بالطعم الطيب. فالريح الطيبة تنتشر إلى الغير، أي أن قارئ القرآن سواء كان مؤمنًا أم منافقًا يعم نفعه إلى غيره ممن يسمع تلاوته ولا ينحصر نفعه بنفسه وحدها. وقد يعم نفعه إلى غيره بإقرائه غيره أو بأمره أو إبلاغه ما ورد في القرآن الكريم من أوامر ونواهٍ. أما الطعم الطيب فلا يُستشعر إلاّ من المرء بنفسه ولا يُستشعر من قبل الغير. لذلك فإن الإيمان كالطعم الطيب يتحسس به المرء نفسه وينفعه باتباع أوامره واجتناب نواهيه ولا يعرفه غيره إلاّ بالتدقيق والمراقبة وكثرة التعامل وربما غاب عن الغير نهائيًا.

إن من يقرأ القرآن الكريم لا بد وأن تظهر على جوارحه آثاره بالعمل به أو

---

(١) الأبّ هو المرعى كما يروى عن ابن عباس وهو رأي الجمهور من العلماء.

(٢) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾[ص: ٨٦].

(٣) هو عبد الله بن قيس بن سليم بن حصار الأشعري توفي سنة ٤٤هـ وهو ابن نيف وستين.

(٤) أي البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وأبو داؤد.

بالأمر بما ورد فيه أو بالنهي عن زواجره أو بالاقتباس منه في كلامه أو بكثرة ترداد آياته والاستشهاد بها ولا يخفى ما في ذلك من أثر واضح على تأثير كلام الله وفضل المرء على غيره من الناس.

كما يلاحظ أن قراءة القرآن حتى ممن لا يؤمن به من غير المسلمين مثلاً تجعل الكلام سليمًا من الناحية اللغوية والبلاغية وحسن العبارة ودقة التعبير وسلامة اللفظ باللغة العربية.

٥- عن أسيد بن حضير[١] رضي الله عنه قال بينما هو يقرأ من الليل سورة البقرة وفرسه مربوطة عنده إذ جالت الفرس فسكت فسكنت فقرأ فجالت الفرس فسكت وسكنت الفرس ثم قرأ فجالت الفرس فانصرف وكان ابنه يحيى قريبًا منها فأشفق أن تصيبه فلما اجترَّهُ رفع رأسه إلى السماء حتى ما يراها فلما أصبح حدّث النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال له: «اقرأ يا ابن حضير اقرأ يا ابن حضير» قال: فأشفقت يا رسول الله أن تطأ يحيى وكان منها قريبًا فرفعت رأسي فانصرفت إليه فرفعت رأسي إلى السماء فإذا مثل الظلّة فيها أمثال المصابيح فخرجت حتى لا أراها قال: «وتدري ما ذاك؟» قلت لا قال: «تلك الملائكة دنت لصوتك ولو قرأت لأصبحت يَنظُر الناس إليها لا تتوارى منهم» **رواه البخاري**[٢].

قال الله تعالى: ﴿لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ

(١) هو أسيد بن الحضير بن سماك بن عقيل الأشهل الأنصاري. كان أبوه رئيس الأوس يوم بعاث وهو أحد النقباء يوم العقبة. أسلم على يد مصعب بن عمير قال عنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نعم الرجل أسيد بن حضير.

(٢) وكذلك مسلم والنسائي وأحمد والطبراني والحاكم بلفظ مختلف.

ٱللَّهِۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[الحشر: ٢١].

إن أثر القرآن لا ينحصر على من يعقله من البشر بل إن الجبال لتخشع من كلام الله تعالى وإن الحيوانات لَتُحِس بأثره ولكن ذلك لا يظهر للناس إلاّ بكرامة خارقة للعادة يُظهرها الله تعالى لمن يشاء من عباده مثل ما حصل لأسيد بن حضير في هذا الحديث.

والكرامات لأولياء الله الصالحين حق وصدق شأنها شأن المعجزات للأنبياء والمرسلين، وما كان معجزة لنبي جاز أن يكون كرامة لوليّ. لكن كما هو واضح من هذا الحديث أن الله يظهرها حين يشاء لمن يشاء من غير أن يطلبها العبد الصالح فهي نعمة من الله لتثبيت المؤمنين لكي يزدادوا إيمانا لا ليغتروا أو يُعجبوا بأنفسهم وكأنهم هم الذين صنعوها.

والعبد الصالح إذا ظهرت على يديه كرامة من خوارق العادات تَكَتَّمَ عليها وخشي أن تظهر وتشتهر فتكون ثوابًا لعمله فيعجبه ذلك مما ينقص أو يمحو ثوابه في الآخرة، ولكن أن ظهرت واشتهرت حمد الله تعالى عليها ودعى الله أن لا يجعلها استدراجًا أو سببًا للعجب بالنفس. والفرق بين الكرامة والاستدراج أن تظهر الكرامة للعبد الصالح الملتزم بأحكام القرآن الكريم وسنة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم. أما الاستدراج فهو ظهور خوارق للعادات على يد من لا يزيده ذلك إلاّ بعدًا عن أحكام كتاب الله وسنة نبيه وفي ذلك يقول بعض الصالحين: إذا رأيت العبد يطير في الهواء ويسير على الماء ويخالف سنة من سنن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فاعلم أنما يُسَوَّل له.

٦- وعن أبي مَالِكٍ الْحَارِثِ بْنِ عَاصِمِ الأشْعريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم: «الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمَان، وَالْحَمْدُ للَّه تَمْلأُ

الْميزانَ وسُبْحَانَ الله والحَمْدُ للَّه تَمْلآن أَوْ تَمْلأ مَا بَيْنَ السَّموَات وَالأَرْض وَالصَّلاَةِ نورٌ، والصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ، وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، والْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ. كُلُّ النَّاس يَغْدُو، فَبِائِعٌ نَفْسَهُ فمُعْتِقُها، أَوْ مُوبِقُهَا» **رواه مسلم.**

قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾ [الفرقان: ٣٠] فمن كان القرآن صاحبه كان القرآن حجة له ومن هجر القرآن كان القرآن حجة عليه.

إن هجران القرآن الحقيقي المذكور في سورة الفرقان هو هجران الكفار له لإعراضهم عن الإيمان والتصديق لما جاء به وعن العمل به. أما هجران التلاوة فقد حدد الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت رضي الله عنه حدود هجران القرآن بتلاوته أقل من مرتين في العام حيث أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم راجعه جبريل القرآن في آخر رمضان صامه قبل وفاته مرتين كما سيأتي ذكر ذلك فيما بعد.

وقد كره العلماء ترك المصحف في الدار دون أن يتلى فيه ولو تلاوة يسيرة لأنهم يخشون أن يدخل هجران المصحف دون التلاوة فيه فترة طويلة ضمن التحذير من هجران القرآن.

٧- عن أنس بن مالك(١) رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أن لله أهلين من الناس». قيل من هم يا رسول الله؟ قال: «أهل القرآن أهل الله وخاصته». **رواه الإمام أحمد وابن ماجة والحاكم والدارمي**(٢).

---

(١) أنس بن مالك بن النضر الأنصاري الخزرجي خادم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خدمه عشر سنين صحابي مشهور مات سنة ٩٢هـ وقد جاوز المائة.

(٢) وأبو القاسم بن حيدر في مشيخته عن الإمام علي وصححه المنذري والزرقاني والألباني.

قال الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾[الإخلاص: ١-٤].

فالله تعالى منزه أن يتخذ صاحبة أو ولدًا. وقد كذب اليهود حين قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه لكن العبد الصادق الذي يحب مولاه لا بد وأن يعبر عن حبه بحب كتابه الكريم. فمن أحب كتاب الله تلاه آناء الليل وأثناء النهار وكان خليله وصاحبه وبذلك ينعم الله تعالى عليه بأن يرفعه ليكون من خواص عباده الصالحين ومن أهل الله من بين سائر عباده ومن الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه. قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾[آل عمران: ٣١].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: لا يَسأَلُ عبد عن نفسه إلاّ القرآن، فإن كان يحب القرآن فإنه يحب الله ورسوله. ومن أحب الله ورسوله حشره الله يوم القيامة مع رسوله، فقد قال عليه الصلاة والسلام: «يحشر المرء مع من أحب»[١]. وقيل له (أي إلى عبد الله بن مسعود): أنك تقل الصوم، قال إني إذا صمت ضعفت عن القراءة. وتلاوة القرآن أحب إلي ـ أي أحب إليه من الصيام.

وكان مالك بن دينار[٢] رضي الله عنه يقول: ما زرع القرآن في قلوبكم يا أهل القرآن؟ إن القرآن ربيع المؤمن كما أن الغيث ربيع الأرض.

(١) حديث المرء مع من أحب وله ما اكتسب رواه الترمذي عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) مالك بن دينار البصري الزاهد يكنى بأبي يحيى وهو صدوق عابد من طبقة صغار التابعين. مات سنة ١٣٠ هـ.

الباب الثاني

تعلم القرآن

٨- عن عثمان بن عفان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «خيركم من تعلّم القرآن وعلّمه» **رواه البخاري وأبو داؤد والترمذي.**

العالم الذي يتعلم القرآن ثم يعلِّمه غيره قد أصبح خليفة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في إبلاغ وتعليم كتاب الله بل خليفة الله في إبلاغ أوامر الله تعالى لعباده. وهو بذلك يرشدهم إلى خير الدنيا والإخرة فكان خليقًا به أن يكون من خير عباد الله تعالى فإن أحب خلق الله إليه أنفعهم لعباده.

وهذا الحديث لا يعارض غيره من الأحاديث التي تحدد خير الناس مثل: «خير الناس أنفعهم للناس»[(١)]. أو «خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي»[(٢)]. بل إن هذه الأحاديث كلها يعضد بعضها بعضًا في معانيها فخير الناس من تعدى نفعه إلى غيره وفضله على غيره بقدر زيادة فضله على الآخرين.

---

(١) المؤمن يألف ويؤلف، ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف، وخير الناس أنفعهم للناس، إسناده حسن ـ السلسلة الصحيحة رواه أبو هريرة.

(٢) خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي رواه الترمذي عن عائشة وابن ماجة عن ابن عباس وصححه السيوطي والمنذري في الترغيب والترهيب والشوكاني في فتح القدير وأحمد شاكر في عمدة التفسير عن أبي هريرة في السلسلة الصحيحة.

وتعلم القرآن وتعليمه يجب أن يقصد به وجه الله تعالى وأن يعمل المعلم بالقرآن قبل أن يعلّمه غيره لكي لا يكون من الذين يأمرون الناس بالبرّ وينسون أنفسهم. فمن تعلّم العلم ليباري به السفهاء أو ليجاري به العلماء أو ليفتخر به ابتغاء المديح والثناء والشهرة أو اكتساب الأموال فليس ذلك من الله في شيء وأولئك حبطت أعمالهم وهم في الآخرة خاسرون. وأما من تعلّمه ابتغاء وجه الله فعمل به وعلّمه الناس وتلا القرآن تقربًا إلى الله تعالى فذلك ممن يرجون ثواب الله والله عنده حسن الثواب.

إن الحث على تعلم القرآن وتعليمه في هذا الحديث يزيد عليه الأمر الصريح الذي ورد في قوله صلى الله عليه وآله وسلم «بلغوا عني ولو آية»[١]. فكل من تعلم آية هو عالم بها يقع عليه إبلاغها، وعلى المسلم أن لا يحتقر عمله بقلة ثواب إبلاغ الشيء اليسير فلا يجوز احتقار شيء من المعروف مهما كان يسيرًا.

٩ - عن عبد الله بن عمرو[٢] رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «يقال لصاحب القرآن إقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها» **رواه الترمذي وأبو داؤد**[٣].

يدخل المؤمنون الجنة بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ولكن منازلهم في الجنة تتفاوت بحسب أعمالهم ومن ذلك تلاوتهم لكتاب الله وحفظهم له

---

(١) رواه الإمام أحمد والبخاري في التأريخ والترمذي وصححه عن ابن عمرو.

(٢) هو عبد الله بن عمرو بن العاص من زهّاد الصحابة. كان أحد الصحابة القلائل الذي سمح لهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بكتابة الحديث في حياته وقد أسلم قبل أبيه وتوفي عام ٦٨هـ بمكة.

(٣) صححه الوادعي والألباني في صحيح أبي داؤد وصحيح الترغيب والترهيب.

فكلما كان المؤمن أكثر إتقانًا لكتاب الله تعالى كلما كانت منزلته أعلى ودرجته أرفع يوم القيامة. ويؤكد هذا الحديث على أهمية ترتيل كتاب الله وتجويده. وسنأتي على تفصيل ذلك فيما بعد.

١٠- عن عقبة بن عامر[1] رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ونحن في الصفة فقال: «أيّكم يحب أن يغدو كل يوم بطحان أو العقيق فيأتي بناقتين كوماوين في غير إثم بالله ولا قطع رحم» فقلنا يا رسول الله كلنا نحب ذلك فقال: «فلئن يغدو أحدكم كل يوم إلى المسجد فيتعلم آيتين من كتاب الله عز وجل خيرٌ له من ناقتين وثلاثٌ خيرٌ له من ثلاثٍ وأربعٌ خيرٌ له من أربعٍ ومن أعدادهن من الإبل» رواه مسلم وأبو داؤد.

كان أهل الصفة من أفقر أهل المدينة وكانوا يسكنون في المسجد. فالمثال الذي ضربه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لهم بمقارنة تعلّم آية من كتاب الله مع اكتساب ناقة وهي يومئذ شيء كثير، ربما تعدل ثمن سيارة في زمننا هذا - هذا المثال حث على تعلم القرآن وفضلّه على العمل الدنيوي البحت بدرجات كثيرة.

أما اكتساب الرزق الحلال لكي يتقي المرء سؤال الناس والحاجة إليهم بما يكفيه ويكفي من يعيلهم من أفراد أسرته فهو فرض أيضًا. إن تعلم أسس الإسلام وفرائضه التي لا بد منها لكل مسلم مقدم على السعي في تعلم العلم الذي هو من تكميليات الشريعة كالنحو والبلاغة مثلاً.

أما إذا كان للمرء سعة في وقته بحيث يستطيع أن يتعلم دون أن يؤثر ذلك على اكتسابه للرزق فلا جدال في أفضلية طلب العلم والله يرفع الذين أوتو العلم درجات.

(١) عقبة بن عامر الجهني ولي مصر لمعاوية ثلاث سنين وكان فقيهًا فاضلاً مات سنة ٦٠ هـ.

١١- عن أبي هريرة[١] رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال:

«ومن سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهل الله له طريقًا إلى الجنة وما اجتمع قوم في بيت يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلاّ نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده» **رواه مسلم وأبو داؤد.**

يلاحظ في هذا الحديث أن ترغيب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم للمؤمنين في اكتساب العلم مقترن بالثواب يوم القيامة وليس بثواب دنيوي رغم أن العلم قد يدرّ على صاحبه مكانة دنيوية أو أجرًا ماديًا ولكن أقصى درجات الرفعة والمنزلة والثواب هي أن يذكر اللهُ تعالى العبدَ كما قال ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ﴾ [البقرة: ١٥٢]، لأن تلاوة كتاب الله ذكر لله تعالى والله يذكر من يذكره. إن الثواب والعقاب غالبًا ما يكون من جنس العمل. فمن يسلك طريق العلم يسهِّل الله له الطريق إلى الجنة ومن يذكر الله بتلاوة كتابه يذكره الله ومن يذكر الله في ملأ يذكره الله في ملأ خير من ملأه ومن يغفل عن الله تعالى لا يأبه الله تعالى به.

إن تدارس القرآن منار لاستلهام كل العلوم الشرعية فقد روي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: من أراد العلم فليثوِّر القرآن فإن فيه علم الأولين والآخرين.

إن للمساجد منزلة عالية عند الله، فهي بيوت العبادة وهي بيوت العلم وهي بيوت الذكر. فيها كانت تعقد حلقات العلم وفيها كانت تقرر عظائم الأمور ومنها تعقد رايات الجهاد وفيها يتم إنصاف المظلومين ومنها توزع الزكاة وتسير منها ركائب

(١) أبو هريرة الدوسي عبد الرحمن بن صخر كان من أهل الصفة وهو حافظ الصحابة مات سنة ٥٧هـ وهو ابن ٧٨ سنة.

الحجيج. وتضاعف صلاة الفريضة فيها ويتضاعف ثواب المعلمين والمتعلمين فيها كما يتضاعف ثواب الذاكرين الله كثيرًا والذاكرات.

ويحث الإسلام المسلمين على طلب العلم والبدء بالأهم ثم المهم. فليس لهم أن يطلبوا دقائق فرعية ويتركوا الأمور الهامة من العلوم سواء كان ذلك العلم من أمور دينهم أم من أمور دنياهم. فالطب والهندسة وغيرها من العلوم الطبيعية لا تقل في فضلها وحاجة الناس إليها عن بعض أمور دينهم فهي فروض كفايات إن تركها المسلمون أثموا جميعهم وإن قام بها بعضهم رُفع الإثم عن الجميع. قال الله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[آل عمران: ١٠٤].

١٢- عن أبي سعيد الخدري[١] رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «يقول الله تعالى: من شغله القرآن وذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين. وفضل كلام الله تعالى على سائر الكلام كفضل الله على خلقه» رواه **الترمذي**[٢].

الحديث القدسي: هو الحديث الذي يأتي بلفظ من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيما يرويه عن ربه. وهذا حديث قدسي.

---

(١) هو سعد بن مالك بن سنان الأنصاري الخزرجي. استُصغر بأحد واستشهد أبوه فيها وغزا هو ما بعدها. روى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم الكثير قال بايعت رسول الله أنا وأبو ذر وعبيدة بن الصامت ومحمد بن مسلمة أن لا تأخذنا في الله لومة لائم. توفي حوالي سنة ٦٥هـ.

(٢) وقال حسن غريب والمنذري في الترغيب والترهيب وصححه إبن الملقن في تحفة المحتاج والزيلعي في تخريج الكشاف.

اتصف كلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأنه يحوي جوامع الكلم رغم أنه بشر. فبلفظة واحدة ترى معانٍ عديدة تجمع جوانب شتى من الحكمة. فالاشتغال بالقرآن المذكور في هذا الحديث يضم تلاوته وتعلُّمه وتعليمه وتطبيقه والدعوة لما جاء فيه والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر المنهي عنه في القرآن وهكذا بلفظ موجز شمُلت كل تلك الأعمال.

وللدعاء مكانة خاصة؛ فالله يحب أن يَدعُوَه الناس لكي يستجيب لهم ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[غافر: ٦٠] ومع ذلك فإن من شغله شيء متعلق بالقرآن من الأمور التي ذكرناها من تلاوة وتعلُّم وتعليم وتطبيق فإن ثوابه بين السائلين محفوظ فهو يحصل على أفضل ما يحصلون عليه. وهكذا الحال بالنسبة للذاكرين الله كثيرًا والذاكرات.

وثواب الدعاء يكون إما بإجابة الدعاء الذي يسأله العبد أو بأن يصرف الله عنه ضررًا أو يسوق له ما يقابله من جزاء حسن في هذه الحياة الدنيا وإما أن يؤخر الله ثواب ذلك إلى يوم القيامة فيعطيه من الحسنات أو يحط عنه من السيئات.

وأفضل الدعاء ما كان دعاءً لمنفعة عامة للناس في أمر يخص آخرتهم مثل الدعاء للرسول صلى الله عليه وآله وسلم أن يؤتيه الله الدرجة الرفيعة العالية والشفاعة يوم القيامة فإن في ذلك نفع للبشر جميعًا في أشد الساعات صعوبة وشدة.

ويلي تلك المرتبة من الدعاء ما كان دعاء خاصًا لأمر يخص الآخرة مثل قول العبد اللهم اغفر لي ولوالدي. ثم يلي ذلك ما كان دعاء لمنفعة عامة يخص الدنيا مثل اللهم اسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين ورابع هذه الدرجات ما كان خاصًا بالسائل ومتعلق بأمر دنيوي مثل قوله رب ارزقني. فلكل دعاء مرتبته من الثواب

سواء أجيب كما طلب السائل أم لا. فالله يعطي المشغول بالقرآن وبذكر الله تعالى أفضل ما يعطي هؤلاء.

ويحدد هذا الحديث القدسي أمرًا هامًا يصلح أن يكون أساسًا قويمًا لحياة المسلمين، فإذا ما وضع المسلمون كلام الله تعالى فوق كلام الناس وفضلّوه على ما سواه كانت أمور دنياهم بخير وأمور آخرتهم أفضل من ذلك ففضل كلام الله تعالى على سائر الكلام كفضل الله تعالى على خلقه. وهذه هي المنزلة التي يجب على المسلمين أن يضعوا بها القرآن الكريم وأحكامه وأوامره. قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾[الأنفال: ٢٤].

وقال أيضا: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[النور: ٥١].

١٣- عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: أتى رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال أقرئني يا رسول الله فانتهى إلى قوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾[الزلزلة: ٧-٨] فقال يكفيني وانصرف الرجل فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إنصرف الرجل وهو فقيه» رواه أبو داؤد والنسائي وابن حبان والحاكم وصححه.

هذا الرجل صادق السريرة مخلص النية بفطرته السليمة. إستنتج بعد دقائق معدودة من بدء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بتعليمه القرآن أنه قد تليت عليه آية عظيمة تستحق أن تكون قاعدة أصولية يتبع نهجها ويسير على هديها. هذه الآية تحدد ما للإنسان وما عليه فإن عمل خيرًا ولو كان وزن ذرة يجزى به خيرًا، لذا

كان عليه أن يكثر من ذلك وإن عمل شرًا ولو كان وزن ذرة يعاقب فليجتنب ذلك. أليس ذلك هو لب الفقه؟ فاستحق أن يصفه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأنه أصبح فقيهًا.

وفي القرآن الكريم آيات بينات كثيرة كل منها تستحق أن يوقف عندها طويلاً وأن تعتمد كقاعدة يتذكرها المؤمن ويجد لها تطبيقًا في كل ساعة من ساعات عمره ومثل هذه الآيات يجدها المسلم الذي يحب القرآن بنفسه فيجب أن يقف عندها طويلاً. إسمع قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠] وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجُرات: ١٠]. وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨] وقوله: ﴿وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات: ٢٢].

هذا الأعرابي. مثله مثل حاتم الأصم[1] الذي صاحب شقيق البلخي[2] ثلاثين سنة فسأله يومًا إنك صاحبي منذ ثلاثين سنة فما حاصلك فيها قال حصلت ثمانية فوائد من العلم وهي تكفيني منه لأني أرجو نجاتي وخلاصي فيها. فقال شقيق ما هي؟ قال حاتم: الفائدة الأولى: أني نظرت إلى الخلق فرأيت لكل واحد منهم محبوبًا ومعشوقًا يحبه ويعشقه وبعض ذلك المحبوب يصاحبه إلى مرض الموت وبعضه إلى

(١) أبو عبد الرحمن حاتم بن علوان الأصم من قدماء مشايخ خراسان من أهل بلخ توفي سنة ٢٣٧هـ.

(٢) أبو علي شقيق بن إبراهيم البلخي كان من مشايخ خراسان صحب إبراهيم بن أدهم كان يقول عملت في القرآن عشرين سنة حتى ميزت الدنيا من الآخرة فأصبته في حرفين وهما قوله تعالى ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ [القصص: ٦٠].

شفير القبر ثم يرجع كله ويتركونه وحيدًا فريدًا ولا يدخل في قبره منهم أحد. فتفكرت وقلت أفضل محبوب المرء ما يدخل في قبره ويؤنسه فيه فما وجدت إلاّ الأعمال الصالحة وأخذتها محبوبًا لي لتكون سراجًا في قبري وتؤنسني ولا تتركني فريدًا. الفائدة الثانية: أني رأيت الخلق يعبدون أهواءهم ويبادرون إلى مداراة أنفسهم فتأملت في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠-٤١] وتيقنت أن القرآن حق صادق فبادرت إلى خلاف نفسي وتشمرت لمجاهدتها وما متعتها بهواها حتى ارتاضت في طاعة الله وانقيادها له. الفائدة الثالثة أني رأيت كل واحد من الناس يسعى في جمع حطام الدنيا ثم يمسكه قابضًا يده عليه فتأملت في قوله تعالى: ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ﴾ [النحل: ٩٦] فبذلت محصولي من الدنيا لوجه الله تعالى ففرقته بين المساكين ليكون ذخرًا لي عند الله. الفائدة الرابعة: أني رأيت بعض الخلق يظن أن شرفه وعزه في كثرة الأقوام والعشائر فيغتر بهم وزعم آخرون أنه في ثروة المال وكثرة الأولاد فيفتخر بهم وحسب بعضهم أن العز والشرف في غصب أموال الناس وظلمهم وسفك الدماء واعتقدت طائفة أنه من إتلاف المال وإسرافه وتبذيره فتأملت قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحُجُرات: ١٣] فاخترت التقوى واعتقدت أن القرآن صادق وظنهم وحسابهم كلها باطلة. الفائدة الخامسة: أني رأيت الناس يذم بعضهم بعضًا ويغتاب بعضهم بعضًا فوجدت ذلك من الحسد في المال والجاه والعلم فتأملت في قوله تعالى: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الزُخرُف: ٣٢] فعلمت أن القسمة كانت من عند الله تعالى في الأزل فما حسدت أحدًا ورضيت بقسمة الله تعالى. الفائدة السادسة أني رأيت الناس يعادي بعضهم بعضا لغرض أو سبب فتأملت قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ

لَكُمۡ عَدُوٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ﴾ [فاطر: ٦] وعلمت أنه لا يجوز عداوة أحد غير الشيطان. الفائدة السابعة: أني رأيت كل أحد يسعى بجد ويجتهد بمبالغة لطلب القوت والمعاش بحيث يقع في شبهة أو حرام أو يذل نفسه وينقص قدره فتأملت في قوله تعالى: ﴿۞وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا﴾ [هود: ٦] فعلمت أن رزقي على الله قد ضمنه فاشتغلت بعبادته وقطعت طمعي عمن سواه. الفائدة الثامنة: أني رأيت كل أحد معتمدًا على شيء مخلوق بعضهم إلى الدينار والدرهم وبعضهم إلى المال والملك وبعضهم إلى الحرفة والصناعة وبعضهم إلى مخلوق مثله فتأملت في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ﴾ [الطلاق: ٣] فتوكلت على الله حسبي ونعم الوكيل هو. فقال شقيق وفقك الله إني نظرت في التوراة والإنجيل والزبور والفرقان فوجدت الكتب تدور على هذه الفوائد الثمانية فمن عمل بها كان عاملاً بالكتب الأربعة.

١٤- عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «من فسّر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار» **أخرجه الترمذي**[1] وحسنه **وهو عند أبي داؤد من رواية العبد وعند النسائي في الكبرى.**

القرآن الكريم يفسر بعضه بعضًا فما أُجمل في آية فُصِّل في آيات أخر. ثم يفسر القرآن بحديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويلي ذلك فهم الصحابة الكرام رضوان الله عليهم لمعاني آيات القرآن الكريم ويستند المفسرون إلى هذه الأسس وإلى اللغة العربية التي أنزل بها القرآن وما يؤتيهم الله من فهم مستند إلى تقوى الله وحمل آيات القرآن على أفضل الوجوه. أما التفسير وفق الهوى والرأي غير المستند إلى الأسس السالفة كإثبات أمر منكر أو محرم أو التحلل من أمر صريح أو نهي منصوص

(١) في رواية الترمذي: من قال في القرآن برأيه.. وقال حديث صحيح.

عليه أو لغرض أن تعرف مكانة المفسر بين العلماء ابتغاء الشهرة والجاه والسمعة فهذا ما يحذر الحديث الشريف منه... فليبحث صاحبه عن مقعده في نار جهنم.

قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: أي أرض تقلني وأي سماء تظلني إذا قلت في القرآن برأيي.

وقال أبو الدرداء[١] رضي الله عنه: لايفقه الرجل حتى يجعل للقرآن وجوها، أي يرى أن هناك أكثر من تفسير واحد لآيات القرآن الكريم. وهذا ما دفع بعض العلماء أن يؤلفوا كتبًا تحوي تأملات وجوانب من تفسير القرآن الكريم مثل تفسير التستري وفي ظلال القرآن. أما التفاسير المعتمدة الأخرى فكثيرة أقدمها تفسير ابن عباس رضي الله عنهما لكن لم يصلنا كاملاً وبعضه غير موثق وأشمل التفاسير القديمة هو تفسير الطبري الذي أخذ عنه معظم من جاء بعده من المفسرين.

ومن أفضل التفاسير تفسيرا القرطبي وابن كثير. ومن أراد الاستزادة فليرجع إلى تفاسير الآلوسي والقاسمي والبغوي والخازن والمنار. ومن أراد الاختصار فليرجع إلى تفسير الجلالين والبيضاوي والنسفي والتسهيل.

١٥- عن جندب بن عبد الله[٢] رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «اقرأوا القرآن ما أتلفت عليه قلوبكم فإذا اختلفتم فقوموا عنه» رواه **الشيخان**[٣].

---

(١) هو عويمر وقيل عامر الأنصاري الخزرجي. أسلم يوم بدر وشهد أحدًا وأبلى فيها بلاءً حسنًا. قال عنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم أحد نعم الفارس عويمر. تولى قضاء دمشق في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وتوفي في خلافة عثمان رضي الله عنه.

(٢) جندب بن عبد الله بن سفيان البجلي ثم العلقي مات بعد سنة ٦٠ هـ.

(٣) أي البخاري ومسلم.

المقصود باقرأوا ـ والله أعلم ـ تدارسوا. والاختلاف المشار إليه في الحديث هو أي اختلاف، سواء كان حول التفسير والمعاني أو كان حول أصول التجويد وعلم القراءات أو كان حول الاستنباط وكيفية تطبيق الأحكام.

ويتبين من الحديث أن الاختلاف الذي هو مدعاة للضعف والتفرق يجب اجتنابه بل وحتى التوقف عن تلاوة القرآن أو تدارسه وتعلّمه عند ظهور بوادر الاختلاف لأن بركة التلاوة والتعلم تمحق نتيجة الاختلاف وتبتعد القلوب عن بعضها ويدخل الشيطان لكي يثير نوازع النفس الإنسانية من حب للظهور والعجب بالرأي والأنانية.

قال سهل التستري رضي الله عنه: في القرآن آيتان ما أشدهما على من يجادل في القرآن وهما قوله تعالى: ﴿مَا يُجَـٰدِلُ فِىٓ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾[غافر: ٤] أي يماري في آيات الله ويخاصم بهوى نفسه وطبع جبلة عقله والثانية قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَـٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ﴾[البقرة: ١٧٦].

وأحد الأسباب الرئيسية للاختلاف هي الجدل وقد نهى الله عنه في الآية الكريمة السابقة أي الجدل في القرآن الكريم والجدل منهي عنه سواء كان جدلاً في القرآن أم بغيره إن استند إلى التعصب للرأي والدفاع عن ذلك بأساليب الحق والباطل على السواء. وقد بيّن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم جزاء من يترك المراء (أي الجدل) بأن يُبني له بيت في ربض الجنة إن كان مبطلاً وفي أعلاها إن كان محقًا(١). أما الجدال دفاعًا عن الحق ضد أهل الباطل فيجب أن يكون بالموعظة الحسنة. قال تعالى: ﴿ ٱدْعُ

(١) أخرجه الترمذي وابن ماجة من حديث أنس وقال الترمذي حديث حسن.

إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥] وهو غير الجدل المنهي عنه في الحديث أعلاه والذي ينبع من نوازع النفس والهوى.

أما اختلاف وجهات النظر المستند إلى أسس صحيحة ومبعثه الاجتهاد مع التخلق بالأدب الرفيع واحترام وجهة نظر المخالف فهو غير داخل ضمن هذا النهي لأن الله تعالى قد خلق الناس مختلفين في قابلياتهم العقلية وإطلاعهم وخبراتهم ومن ثم لا بد وأن ينعكس ذلك على فهمهم وتصوراتهم.

١٦- قال ابن عباس رضي الله عنهما: توفي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأنا ابن عشر سنين وقد قرأت المحكم فقلت له وما المحكم؟ قال المُفَصَّل وهو من الحُجُرَات. **رواه البخاري.**

عبد الله بن عباس رضي الله عنهما حين يقول قد قرأت المحكم وأنا ابن عشر سنين فإنه يعني أنه قد حفظ الأجزاء الأخيرة من القرآن من سورة الحجرات إلى سورة الناس. وقد استحب عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يلقن الطفل خمس آيات خمس آيات وفي ذلك رواية عن أبي العالية[1] قال: تعلموا القرآن خمس آيات خمس آيات، فإن النبي ﷺ كان يأخذه من جبريل عليه السلام خمسًا خمسًا[2]. وفي رواية «من تعلمه خمسًا خمسًا لم ينسه».

إن أحد حقوق الولد على والديه أن يعلماه القرآن ولهما بذلك الثواب الجزيل وسيأتي حديث عن بيان ثوابهما يوم القيامة.

ولقد حث الإسلام على تعليم الأطفال وأول ما يجب أن يعلموه من العلم هو

(١) أبو العالية هو رفيع بن مهران الرياحي من التابعين وهو ثقة مات سنة ٩٠ هـ.

(٢) رواه البيهقي في شعب الإيمان فصل في تعليم القرآن، وهو في كنز العمال - نزول الوحي.

القرآن. وقد قبل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الفداء من بعض أسرى بدر بأن يعلّموا أعدادًا من أطفال المسلمين القراءة والكتابة وفي ذلك مثل عظيم على أهمية العناية بتعليم الأطفال. كما أن تعلم القرآن في الصغر ينشئ الطفل على أساس قويم من الخلق والإتزان واتخاذ القرآن دليلاً في الحياة إضافة إلى تقوية قابلية الطفل على الحفظ في صغره وتأثير ذلك على نفاذ ذهنه وتقوية ذاكرته وتحسين لغته ونطقه ولذلك تأثير على كل ما يتعلم من علوم أخرى يحتاجها في حياته.

الباب الثالث

حفظ القرآن

١٧- عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال:

«إن الذي ليس في جَوفِهِ شيءٌ من القرآن كالبيت الخَرِب» **رواه أحمد والحاكم والترمذي وصححه.**

إن حفظ ما يكفي من القرآن لأداء الصلاة فرض عين على كل مسلم، لأن ما لا يتم الواجب إلاّ به فهو واجب. أما هذا الحديث فيتحدث عما يزيد عن ذلك فهو يحث على الاستزادة من حفظ آيات كتاب الله فهي إذن سنة مؤكدة.

اختلف العلماء أيهما أفضل: القراءة من المصحف أم القراءة عن ظهر الغيب. قال بعض العلماء: المدار في هذه المسألة على الخشوع فإن كان الخشوع أكثر عند القراءة عن ظهر قلب فهو أفضل وإن كان عند النظر في المصحف أكثر فهو أفضل، فإن استويا فالقراءة نظرًا أولى لأنها أثبت وتمتاز بالنظر إلى المصحف. قال الشيخ أبو زكريا النواوي رحمه الله في التبيان: والظاهر أن كلام السلف وفعلهم محمول على هذا التفصيل وكان السلف يتعاهدون أطفالهم على حفظ كتاب الله تعالى. دخل الرحالة الشهير ابن بطوطة خلال رحلته في مالي على قاضي مالي يوم العيد عام ١٣٥٢م فوجد أولاده في القيود فقال ألا تسرحهم فأجابه لا أفعل حتى يحفظوا القرآن. كما مر ابن بطوطة في مالي بشاب حسن الصوت وعليه ثياب فاخرة وفي رجليه قيد ثقيل

فسأل مرافقه عما ارتكبه هذا الشاب من جرم، وعلم أخيرًا أنه قيّد حتى ينتهي من حفظ القرآن.

ورغم أن أسلوب ربط القيود مما تَعافُه أنفسنا اليوم ولا تعتبره الأساليب التربوية الحديثة صحيحًا، إلاّ أن هاتين القصتين توضحان مقدار ما مان من حرص المسلمين في أقاصي إفريقيا وغيرها من بلاد المسلمين على تحفيظ أولادهم كتاب الله.

ومثل هذه المدارس التي يحفظ بها الأطفال القرآن منتشرة في كثير من المساجد في شتى بلاد المسلمين اليوم.

١٨- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعثًا وهم ذو عدد فاستقرأهم فقرأ كل رجل منهم ما معه من القرآن فأتى على رجل من أحدثهم سنًا فقال: «ما معك يا فلان»؟ فقال معي كذا وكذا وسورة البقرة، قال: «أمعك سورة البقرة»؟ قال نعم. قال: «إذهب فأنت أميرهم» فقال رجل من أشرفهم والله يا رسول الله ما منعني أن أتعلم سورة البقرة إلاّ خشية أن لا أقوم بها، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «تعلموا القرآن فاقرَئُوا وأقرِئُوا فإن مَثَلَ القرآنِ لمن تَعلَمَه فَقَرَأه وقام به كمثلِ جِرَابٍ مَحشوٍ مِسكاً يَفُوحُ بريحِهِ كل مكان ومثل من تعلمه فَيَرْقُدً وهو في جَوفِهِ كمثل جِرَاب وُكِئَ على مسك» **رواه النسائي وابن ماجه وابن حبان والترمذي وصححه.**

هكذا يرفع الله تعالى الذين أوتوا العلم درجات فيفضلهم على غيرهم في الحياة الدنيا ولأجر الآخرة أكبر. وحفظ القرآن أحد الدلائل الرئيسة على علم الشخص ومن ثم تفضيله وتقليده المناصب.

ويستدل من الحديث عدم الاكتراث بخشية أن لا يقوم الرجل بالآية أو السورة أن لا يحفظها بل عليه أن يحفظ من كتاب الله ما استطاع. وقوله خشية أن لا يقوم بها

يحتمل أن يقصد أن لا يقوم بأداء ما توجبه السورة من واجبات وأوامر والانتهاء عما فيها من نواهٍ، كما يحتمل أن يقصد بالقيام بها قيام الليل. يدل على المعنى الأول المفهوم العام من قول الصحابي ويدل على المعنى الثاني إجابة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إذ قارن بين من يرقد في الليل وأن مثله مثل الجراب الموكئ على مسك مما يفهم عنه أن عدم القيام بالسورة هو النوم أي عدم قيام الليل والمعنى الأول أقرب للاحتمال.

إن للقرآن بركة وهو في جوف المؤمن. فمن كان جوفه خاليًا من القرآن كان كالبيت الخرب كما مر في حديث سابق. وسواء قام به أم لا فهو محشو مسكًا أو موكأ على مسك أي أن له بركة وأثرًا سواء كان الأثر ظاهرًا ينتقل إلى الغير أم كان غير واضح للآخرين.

إن في هذا الحديث اقتران واضح بين قراءة القرآن وإقراءه أي تعليمه للغير فمن تعلم آية واحدة أصبح عالمًا به ومن ثم وجب عليه حقها من تعليم وعمل ولكن الحديث يشير إلى أنه حتى ولو قرأها فقط وتعلمها هو فعندئذ يكون كالجراب بريح طيبة تفوح منه في كل مكان.

١٩- عن سهل بن سعد[١] رضي الله عنه قال: أتت النبي صلى الله عليه وآله وسلم امرأة فقالت إنها وهبت نفسها لله ولرسوله فقال: «مالي في النساء من حاجة» فقال رجل: زوجنيها، قال: «أعطها ثوبًا»، قال: لا أجد، قال: «أعطها ولو خاتمًا من حديد» فاعتل ذلك فقال: «ما معك من القرآن؟» قال: كذا وكذا، قال: «قد زوجتك

(١) هو سهل بن سعد بن مالك بن خالد الخزرجي الساعدي. كان اسمه حزن فغيره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى سهل. عاش مائة عام أو يزيد، مات سنة ٩١هـ وكان آخر من مات من الصحابة بالمدينة.

لما معك من القرآن» متفق عليه.

يبين الحديث سنة قلة المهور في صدر الإسلام فكان الأمر ابتداء بثوب ثم بشيء ملموس ولو خاتم من حديد ثم كان ثالثها بما معه من القرآن أي يعلمها إياه فذلك المهر.

وهكذا كان ثواب حفظ القرآن الدنيوي معادلته بالمهر. ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون.

٢٠- لقي نافع بن عبدالحارث عمر بن الخطاب بعسفان وكان عمر يستعمله على مكة فقال: من استعملت على أهل الوادي؟ قال إبن أبزى. قال ومن إبن أبزى؟ قال مولى من موالينا. قال فاستخلفت عليهم مولى؟ قال إنه قارئ لكتاب الله عز وجل. قال أما إن نبيكم صلى الله عليه وآله وسلم قد قال «إن الله يرفع بهذا الكتاب أقوامًا ويضع به آخرين» رواه مسلم.

إن رفع الله تعالى لأقوام بالقرآن القرآن الكريم إنما هو بعملهم به بعد تعلمهم إياه وتعليمهم غيرهم. أما الذين يضعهم الله بالقرآن فهم الذين كفروا به وجحدوا أو كانوا ممن جهل أحكامه وتلاوته وفهمه أو ممن لم يحفظ منه شيئًا. وقد مر بنا تأييد معنى هذا الحديث في تأمير رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من كان معه سورة البقرة رغم حداثة سنه وتأخيره من هو أسن منه وأكثر شرفًا لقلة حفظه.

وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يجمع بين الرجلين من شهداء أحد في لحد واحد ثم يقول أيهما أكثر أخذًا للقرآن؟ فإذا أشير إلى أحدهما قدمه إلى لحده[1]، وهذه سنّة في تقديم أصحاب القرآن في كل أمر حسن إن استوت الكفاية وذلك

(١) رواه البخاري.

تعظيمًا لفضل القرآن الكريم. ذلك لأن من يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب كما قال تعالى ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾[الحج: ٣٢].

٢١- عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «بئس ما لأحدكم أن يقول نَسيت آية كَيتَ وكَيتَ بل هو نُسِّي. استذكروا القرآن فَلَهُوَ أشد تَقَصُيا من صدور الرجال من النَعم» رواه الشيخان والترمذي.

نظرًا لوجود تشابه في ألفاظ بعض آيات القرآن الكريم أحيانًا واختلافها أحيانًا أخرى فإن حفظ القرآن قابل للنسيان إن لم يستذكر، لذلك يأمر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم باستذكار القرآن حفاظًا عليه من النسيان.

وهنا إشارة إلى كراهة نسبة النسيان إلى النفس نظرًا لأن هناك معنىً آخر للنسيان وهو تعمد إغفال العمل بأحكام الآيات وهذا والعياذ بالله من سيء الأعمال. قال الله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴾ [طه: ١٢٤-١٢٦].

وفي هذا الحديث دليل على أن النسيان أمر محتمل للإنسان وليس بنقص ولكن على الإنسان الجد والحرص على عدم النسيان بالاستذكار. قال الله تعالى: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴿٦﴾ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ﴾ [الأعلى: ٦-٧]. أما إهمال المذاكرة والمراجعة فهو من الذنوب الكبيرة، لذلك على حافظ القرآن مراجعة حفظه على الدوام.

وفي الحديث إشارة إلى مراقبة اللسان من التكلم حتى بكلام يقصد غيره إن كان اللفظ الذي يستخدم يشير إلى أمر فيه إثم أو معصية. فهنا رغم أن النسيان أمر متوقع

للإنسان، إلا أن النهي عن نسبة هذا النسيان للنفس على أنه أمر قد قام به الإنسان اختيارًا وتعمدًا، خشية أن يكون مشمولاً بمن تعمد النسيان الذي يشير الله إليه في الآية السابقة. ويشبه ذلك قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا ﴾[البقرة: ١٠٤]. وذلك لأن اليهود استخدموا لفظة راعنا فنهى الله عن استخدام ذلك اللفظ من قبل المسلمين.

٢٢ – عن أبي موسى، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «تعاهدوا هذا القرآن فوالذي نفس محمد بيده لهو أشد تفلتا من الإبل في عقلها» متفق عليه.

كان الضحاك بن مزاحم[1] يقول: ما من أحد تعلم القرآن فنسيه إلا بذنب يُحدِثُهُ لأن الله تعالى يقول: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴾[الشورى: ٣٠]. وإن نسيان القرآن من أعظم المصائب.

وهنا يدعو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المسلمين إلى تعاهد القرآن والحرص على عدم نسيانه حيث هو قابل للنسيان بسهولة. والنسيان الأشد هو نسيان العمل به، لكن نسيان الحفظ ما يشار إليه هنا.

٢٣- عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «عرضت عليَّ ذنوب أمتي فلم أرَ أعظم من سورة من القرآن أو آية أُوتيها رجل ثم نسيها» رواه الترمذي وأبو داؤد[2].

(١) الضحاك بن مزاحم الهلالي يكنى بأبي القاسم صدوق من صغار التابعين مات بعد سنة ١٠٠هـ.

(٢) أخرجه أبو داؤد في كتاب الصلاة والترمذي وقال حديث غريب لا نعرفه إلاّ من هذا الوجه وقال الحافظ في الفتح: في إسناده ضعف

نسيان الحفظ له أسباب: منها عدم التكرار لشغل طارئ وهذا يحدث لكل فرد وعليه أن يراجع بعد أن يفرغ من شغله. ومنها عدم التكرار لشغل مستديم. فإن كان شغله يمنعه من تكرار القرآن وكان شغله من الأهمية بمكان فعليه أن يكابد ويحاول إيجاد الوقت للتكرار ويدعو الله بالمغفرة. أما إن كان عدم التكرار إهمالاً وتكاسلاً، فهذا من التقصير الذي هو من الذنوب ويخشى أن يكون إثمه كبيرًا.

أما إذا كان النسيان نتيجة مرض يمنعه من التكرار أو ينُسيه ما حفظ فذلك مما يرجى أن لا يؤاخذه الله به، بل ويكتب له ثوابًا مثل ثواب يوم كان يكرر القرآن ويحفظه، هذا إذا كان صابرًا في مرضه محتسبًا ذلك لله.

٢٤- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بينا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذ جاءه علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال: بأبي أنت وأمي، تَفَلَّت هذا القرآن من صدري فما أجدني أقدر عليه فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يا أبا الحسن أعلمك كلمات ينفعك الله بهن، وتنفع بهن من علمته ويَثْبُتُ ما تعلمت في صدرك؟» قال أجل يا رسول الله فعلمني. قال: «إذا كانت ليلة الجمعة فإن استطعت أن تقوم في ثلث الليل الأخر فأنها ساعة مشهودة والدعاء فيها مستجاب وقال أخي يعقوب لبنيه ﴿سَوۡفَ أَسۡتَغۡفِرُ لَكُمۡ رَبِّيٓ﴾[يوسف: ٩٨] يقول حتى تأتي ليلة الجمعة فإن لم تستطع فقم في وسطها فإن لم تستطع فقم في أولها فصل أربع ركعات تقرأ في الأولى بفاتحة الكتاب وسورة يس وفي الركعة الثانية بفاتحة الكتاب وحم الدخان وفي الركعة الثالثة بفاتحة الكتاب وآلم تنزيل السجدة وفي الركعة الرابعة بفاتحة الكتاب وتبارك المفصل، فإذا فرغت من التشهد فاحمد الله وأحسن الثناء على الله وصل علي وأحسن وعلى سائر النبيين واستغفر للمؤمنين والمؤمنات وإخوانك الذين سبقوك بالإيمان ثم قل في آخر ذلك: اللهم ارحمني بترك المعاصي أبدًا ما أبقيتني

وارحمني أن أتكلف ما لا يعنيني وارزقني حسن النظر فيما يرضيك عني. اللهم بديع السماوات والأرض ذا الجلال والإكرام والعزة التي لا ترام أسألك با الله يا رحمن بجلالك ونور وجهك أن تنور بكتابك بصري وأن تطلق به لساني وأن تفرج به عن قلبي وأن تشرح به صدري وأن تُعمِلَ به بدني فإنه لا يعينني على الحق غيرك ولا يؤتيه إلا أنت ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. يا أبا الحسن تفعل ذلك ثلاث جمع أو خمسًا أو سبعًا تجاب بإذن الله والذي بعثني بالحق ما أخطأ مؤمنًا قط». قال ابن عباس: فوالله ما لبث علي إلا خمسًا أو سبعًا حتى جاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في ذلك المجلس فقال يا رسول الله والله إني كنت في ما خلا لا آخذ إلا أربع آيات أو نحوهن فإذا قرأتهن على نفسي تفلتن وأنا أتعلم اليوم أربعين آية أو نحوها فإذا قرأتها على نفسي فكأنما كتاب الله بين عيني ولقد كنت أسمع الحديث فإذا رددته تفلّت وأنا اليوم أسمع الأحاديث فإذا تحدثت بها لم أخْرِم منها حرفًا. فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «مؤمن ورب الكعبة يا أبا الحسن». **رواه الترمذي وقال حديث حسن غريب ورواه الحاكم في مستدركه والطبراني في معجمه الكبير.**

هذا الحديث الشريف يتطلب أول ما يتطلب العزم على التغلب على النسيان والتوكل على الله والاستعانة به والدعاء منه أن يعين المرء على ذلك فإنه لا يعين على الخير غيره.

يقول الإمام الشافعي رضي الله عنه:

شكوت إلى وكيع سوء حفظي ... فأرشدني إلى ترك المعاصي
وأخبرني بأن العلم نور ... ونور الله لا يُهدى لعاصي

وهنا يؤكد الإمام الشافعي على أن أستاذه وكيعًا ينصحه بأن يترك المعاصي بعد أن شكى له سوء حفظه. فمن أصلح ما بينه وبين الله تعالى كان حقًا على الله أن يعينه

على طاعته ورضاه قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾[العنكبوت: ٦٩].

وفيما يأتي بعض القواعد التي يمكن أن تساعد في تحسين الحفظ وسرعته وعدم النسيان:

- اختيار أفضل الأوقات للحفظ وقد يختلف ذلك من فرد لآخر ولكن على الغالب فإن أفضل الأوقات للحفظ قبل النوم ولكن يفضل تكرار ما حفظ قبل النوم بعد الاستيقاظ مباشرة لكي يترسخ. والوقت الآخر المناسب للحفظ هو أول النهار أو في الأوقات التي يكون فيها المرء مرتاحًا ومسترخيًا.
- على المرء أن يختار الوسيلة التي تساعده على الحفظ. فهناك من يحفظ أفضل بكتابة ما يريد حفظه ثم يتلوه بصوت منخفض ويراعي عند نظره إلى الورق أماكن الكلمات وربما كيفية كتابتها وبذلك فإن مساعده في الحفظ هما عيناه وهذا يجب أن يلتزم الحفظ من مصحف واحد لكي يتذكر أماكن الآيات. وهناك من يحفظ أفضل بترديد ما يحفظ بصوت مرتفع بحيث يسمع نفسه أو يسمعه من جهاز التسجيل أو الراديو. وهذا الشخص تعينه في حفظه أذناه.
- على المرء أن يختار آيات معدودات يكررها حتى يحفظها ثم يكررها فوق الحفظ لكي تترسخ ثم يكررها بعد فترة وجيزة ثم يباعد الفترة شيئًا فشيئًا إلى أن يصل إلى فترة مناسبة يكررها فيه تكرارًا يمنعه من النسيان.
- على المرء أن يربط بذهنه الآيات ذات الألفاظ المتشابهة مع مواقعها في السورة أو مع آيات أخر أو مع مواقع كتابتها على الورق أو مع أسلوب تلفظها لكي يميزها عما يشابهها. كل ذلك بذهنه لكي يعرف الآية الصحيحة وما يليها إذا ما اشتبهت

عليه الآيات عند قراءتها فيما بعد.

- فهم المعنى والتفسير وأسباب النزول من الأمور المساعدة على الحفظ.
- من صمم على حفظ كتاب الله تعالى وجد الوقت الملائم للحفظ والتكرار سواء كان ذلك أثناء راحته أو أثناء العمل لمن يناسب عمله ذلك أو في الطريق.
- على الشاب أو الصبي أن يغتنم شبابه في الحفظ لأن فكره أكثر استعدادًا للحفظ من الكهل أو الشيخ. قال صلى الله عليه وآله وسلم: «إغتنم خمسًا قبل خمس: شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك وغناك قبل فقرك»(١).
- إن في حديث تعليم النبي صلى الله عليه وآله وسلم عليًا رضي الله عنه الصلاة والدعاء لحفظ القرآن إشارة إلى ضرورة الإيقان باستجابة الدعاء كما قال عليه الصلاة والسلام «أدعو الله وأنتم موقنون بالإجابة واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه»(٢).

---

(١) رواه الحاكم والبيهقي عن ابن عباس وأحمد وأبو نعيم في الحلية عن عمرو بن ميمون.

(٢) رواه الترمذي والحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه.

الباب الرابع

العمل بالقرآن

٢٥- عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان خلق نبي الله ﷺ القرآن» رواه مسلم في جملة حديث طويل.

كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعمل بما أنزل الله عليه في كتابه تطبيقًا لأوامر الله من طاعات واجتناب لما نهى عنه. لكن تخلقه بدقائق ما مدح الله من خلق واجتناب لدقائق ما نهى عنه من خلق كان طبيعة قد جبل عليها. وبذلك فإن من أراد أن يحشر مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم القيامة أن يتخلق بخلق القرآن.

٢٦- عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال:

«من قرأ القرآن وعمل بما فيه أُلبس والداه تاجًا يوم القيامة ضوءه أحسن من ضوء الشمس في بيوت الدنيا لو كانت فيكم. فما ظنكم بالذي عمل بهذا» رواه أبو داوٌد[١].

في هذا الحديث تبيان لمكانة وثواب قارئ القرآن الذي يعمل به حتى أن ثوابه لا يقتصر عليه وحده بل يعم إلى والديه (إن كانا مؤمنين. أما إن لم يكونا مؤمنين فلا يغني

---

(١) سكت عنه أبو داؤد وقال في رسالته لأهل مكة كل ما سكت عنه فهو صالح والبغوي في شرح السنة وقال حديث غريب والمنذري في الترغيب والترهيب وقال عنه الألباني حسن لغيره في صحيح الترغيب والترهيب.

عنهما شيئًا).

لماذا يلبس والداه التاج يوم القيامة وهما لم يقرآ القرآن ولم يفعلا ما فعل ولدهما؟ الجواب على ذلك أنهما تسببا في صلاح ولدهما أما عن طريق تعليمهما إياه وتربيتهما له وإما عن طريق دعائهما له أو لأنهما أنشآه نشأة صالحة عن طريق إطعامه الطعام الحلال. قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إذا مات الانسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم يُنتَفَعُ به أو ولد صالح يدعو له»(١). فالمتوفى هنا تسبب في هذه الأمور الثلاثة فثوابها يلحقه في حياته وبعد وفاته. وهنا الولد الصالح الذي قرأ القرآن وعمل به هذا هو ثواب والديه فهما قد أرشداه على الخير والدال على الخير كفاعله (إلاّ أن الله يضاعف الثواب لمن يشاء وليس معنى ذلك أن الله يضاعف لفاعل الخير مثل مضاعفته للدال عليه فإن المضاعفة لفاعل الخير إن أُخلصت النية لله ربما كانت أعظم من الدال عليه).

الشفاعة ثابتة في القرآن والسنة وهذا الذي قد قرأ القرآن وعمل بما فيه فإنه يشفع لغيره بسبب فضله ومكانته عند الله تعالى وأولى من يشفع فيهم هم والداه لاستحقاقهم ذلك نتيجة تسببهما ذلك الفعل وإن لم يكونا من أهل القرآن، وهذه الشفاعة لا تتم إلاّ بإذن الله تعالى لمن يشاء فيمن يشاء ولا شفاعة لمن لا يؤمن بالله ورسوله. وكما أن شفاعة الولد لوالديه حق فإن شفاعة الوالد لولده هي أيضا ثابتة في كتاب الله تعالى. فكما ذكر الله تعالى الدعاء للوالدين: ﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴾[إبراهيم: ٤١]، ذكر دعاء الوالد لذريته: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ﴾[إبراهيم: ٤٠] وكذلك دعاء سيدنا

(١) عن أبي هريرة رواه البخاري في الأدب ومسلم وأبو داؤد والترمذي والنسائي.

إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[البقرة: ١٢٩]، هذا الدعاء في الدنيا وكذلك الشفاعة في الآخرى حيث يكونون أحوج إليها حينئذ. فالشفاعة حق للأنبياء والمرسلين وللقرآن والصيام والأعمال الصالحة ولعباد الله الصالحين وأوليائه المتقين.

قارئ القرآن والعامل به يشفع لوالديه وأهل بيته ممن وجبت له النار. وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وجزاءَ قراءته للقرآن واستظهاره له وعمله به في الحياة الدنيا والله عنده حسن الثواب. وكما يشفع الصالحون للوالدين والأقربين كذلك يشقعون بإذن الله لمن علّمهم أو علّموه ولمن له فضل عليهم ولمن أحبهم وأحبوه في الله تعالى. وقد سبق ذكر شفاعة القرآن لحامله في الحديث رقم ٤٧.

٢٧- عن النواس بن سمعان[1] رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «يؤتى يوم القيامة بالقرآن وأهلَه الذين كانوا يعملون به في الدنيا تَقدَمُهُ سورة البقرة وآل عمران تحاجّان عن صاحبهما» **رواه مسلم.**

هذا الحديث يفسر الحديث رقم ٧. فأهل القرآن أهل الله وخاصته ويأتي هذا القرآن شفيعًا لصاحبه الذي كان يعمل به في الدنيا ومقدمة القرآن البقرة وآل عمران فهما يتقدمان في الشفاعة والذود عن قارئهما والعامل بهما ومن عمل بما في البقرة وآل عمران من أحكام فقد عمل بما في القرآن كله تقريبًا لكثرة ما تحويان من أحكام.

قال أبو سعيد الخراز[2] رضي الله عنه: أول الفهم لكتاب الله عز وجل العمل

---

(١) هو النواس بن سمعان بن خالد بن عمرو العامري الكلابي هو وأبوه صحابيان.

(٢) أبو سعيد أحمد بن عيسى الخراز من أهل بغداد صحب ذا النون المصري والسري السقطي وبشر الحافي وغيرهم من المشايخ ومن المتكلمين في علم الإخلاص. توفي سنة ٢٧٩هـ ودفن في الموصل.

به لأن فيه العلم والفهم والاستنباط وأول الفهم إلقاء السمع والمشاهدة لقول الله عز وجل: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾[ق: ٣٧] كما قال: ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ﴾[الزُّمَر: ١٨] والقرآن كله حسن ومعنى اتباع الأحسن ما يكشف للقلوب من العجائب عند الاستماع وإلقاء السمع من طريق الفهم والاستنباط وأول إلقاء السمع لاستماع القرآن هو أن تسمعه كأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقرأه عليك ثم ترقى عن ذلك فكأنك تسمعه من جبريل عليه السلام وقراءته على النبي صلى الله عليه وآله وسلم لقول الله تعالى ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾[الشعراء: ١٩٢-١٩٤] ثم ترقى عن ذلك فكأنك تسمعه من الحق عز وجل.

وأخرج الدرامي عن علي رضي الله عنه أنه قال: يا حملة العلم اعملوا به فإنما العالم من عمل بما علم ووافق علمه عمله وسيكون أقوام يحملون العلم لا يجاوز تراقيهم يخالف عملهم علمهم وتخالف سريرتهم علانيتهم يجلسون مع الخلق يباهي بعضهم بعضًا حتى أن الرجل ليغضب على جلسيه أن يجلس إلى غيره ويدعه. أولئك لا تصعد أعمالهم في مجالسهم تلك إلى الله تعالى.

٢٨- عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار ورجل آتاه الله مالاً فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار» متفق عليه.

الحسد الممقوت هو تمني زوال نعمة الغير والحسد الممدوح هنا هو تمني الحصول على مماثلة المحسود في العلم أو في المال.

القيام بالقرآن آناء الليل بتلاوته وتعلمه والتجهد به ويشبه أن يكون ذلك سرًا

لخفاء ذلك عن الناس. أما آناء النهار فهو العمل به علنًا أمام الناس لأمر الله تعالى بالعمل ولكي يكون قدوة لغيره فيصيبه ثواب من اقتدى به.

تسلسل الحديث يبتدئ بإيضاح فضل من يؤتى القرآن ويعمل به ثم فضل من يؤتى المال ويشير ذلك إلى فضل العلم على الصدقة. قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لكميل[1]: يا كميل: العلم خير من المال. العلم يحرسك وأنت تحرس المال. العلم حاكم والمال محكوم عليه. والمال تنقصه الصدقة والعلم يزكو بالإنفاق (الإشارة إلى نقصان المال بالصدقة هو النقصان الظاهري الذي يشهده الناس. أما عند الله فهو يربو ويزداد).

وهكذا ذمه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من جهة تمنيه للمعصية لا من جهة أن يتمنى أن يكون له من النعمة مثل ما له. فإذن لا حرج على من يغبط غيره في نعمة ويشتهي لنفسه مثلها طالما لم يحب زوالها عنه ولم يكره دوامها له. نعم إن كانت تلك النعمة دينية واجبة كالإيمان والصلاة والزكاة فهذه المنافسة واجبة وهو أن يحب أن يكون مثله لأنه إذا لم يكن يحب ذلك فيكون راضيًا بالمعصية وذلك حرام. وإذا كانت النعمة من الفضائل كإنفاق الأموال في المكارم والصدقات فالمنافسة فيها مندوب إليها وإذا كانت نعمة يتنعم بها على وجه مباح فالمنافسة فيها مباحة[2].

٢٩- عن أبي كبشة الأنماري[3] رضي الله عنه حيث قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: مثل هذه الأمة مثل أربعة: رجل آتاه الله مالاً وعلمًا فهو يعمل بعلمه في ماله، ورجل آتاه الله علمًا ولم يؤته مالاً فيقول رب لو أن لي مالاً

(١) كميل بن زياد بن نهيل من أصحاب الإمام علي رضي الله عنه من التابعين مات سنة ٨٢ هـ.
(٢) إحياء علوم الدين للإمام الغزالي – الجزء الثالث صفحة ١٨٠.
(٣) قال ابن حبان أبو كبشة هو سعيد بن عمرو وقيل عمرو بن سعيد الأنماري المذحجي.

مثل مال فلان لكنت أعمل فيه بمثله فهما في الأجر سواء[1]، ورجل آتاه الله مالاً ولم يؤته علمًا فهو ينفقه في معاصي الله عز وجل، ورجل لم يؤته علمًا ولم يؤته مالاً فيقول لو أن لي مثل مال فلان لكنت أنفقته مثل ما أنفقه فيه من المعاصي فهما في الوزر سواء. رواه ابن ماجة والترمذي وقال حسن صحيح.

لقد أوتي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحيًا بنص معين هو القرآن الكريم والسنة بلفظ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. فمن أوتي القرآن الكريم فقد حصل على ما أوحى الله تعالى إلى رسوله بنصه لكنه يفرق عن رسول الله بأنه لا يوحى إليه وهكذا فإن العلماء ورثة الأنبياء لا يرثون الدرهم والدينار ولكن يرثون العلم والعمل به ونشره بين الناس.

إن من تعظيم المرء لله تعالى تعظيمه لكتاب الله. ومن أوتي خيرًا كثيرا فعليه أن يشكر الله تعالى على تلك النعمة العظيمة وأن يشعر بكبر تلك المنة والفضل الذي آتاه الله تعالى إياه.

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: ينبغي لحامل القرآن أن يعرف بِلَيلِه إذا الناس ينامون وبنهاره إذا الناس يفطرون وبحزنه إذا الناس يفرحون وببكائه إذا الناس يضحكون وبصمته إذا الناس يخوضون وبخشوعه إذا الناس يختالون وينبغي أن يكون مستكينًا لينًا ولا ينبغي أن يكون جافيًا ولا مماريًا ولا صياحًا ولا صخابًا ولا عنيدًا.

قال بعض الصالحين: علمت أن أهل القرآن يسألون كما يسأل الأنبياء (أي يوم القيامة). وفي الحديث الشريف نهي لأصحاب القرآن عن السفه والغضب والحدة وأمرٌ بالحلم والصفح، وجملة الأمر هو أمر بحسن الخلق ومكارم الأخلاق. وهكذا

(١) هذا منه حب لأن يكون له مثل ماله فيعمل ما يعمل من غير حب زوال النعمة عنه.

كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما وصفته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها كما مر في حديث سابق «كان خلقه القرآن»(١). فإن كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خلقه القرآن فالقرآن بيننا، وعلى حملة القرآن التخلق بأخلاق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ألا وهي أخلاق القرآن.

٣٠ – عن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: سمِعْتُ رَسُولَ اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم يَقُولُ: «إنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يوْمَ الْقِيامَةِ عَلَيْهِ رجُلٌ اسْتُشْهِدَ، فَأُتِيَ بِهِ، فَعرَّفَهُ نِعْمَتَهُ، فَعَرفَهَا، قالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيها؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ: قالَ كَذَبْت، وَلكِنَّكَ قَاتلْتَ لأنَ يُقالَ جَرِيء، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ في النَّارِ. وَرَجُل تَعلَّم الْعِلّمَ وعَلَّمَهُ، وقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأتِيَ بِهِ، فَعَرَّفَهُ نِعَمهُ فعَرَفَهَا. قالَ: فمَا عمِلْتَ فِيهَا؟ قالَ: تَعلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ، وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ، ولكِنَّك تَعَلَّمْت الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ، وقَرَأْتُ الْقرآن لِيقالَ: هو قَارىءٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أمِرَ، فَسُحِبَ عَلى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ في النَّارِ، وَرَجُلٌ وسَّعَ اللَّه عَلَيْهِ، وَأَعْطَاه مِنْ أصنَافِ المَال، فَأُتِى بِهِ فَعرَّفَهُ نعمَهُ، فَعَرَفَهَا. قال: فَمَا عَمِلْت فيها؟ قال: ما تركتُ مِن سَبيلٍ تُحِبُّ أنْ يُنْفَقَ فيهَا إلاَّ أنْفَقْتُ فيها لَك. قَالَ: كَذَبْتَ، ولكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ: هو جَوَادٌ فَقَدْ قيلَ، ثُمَّ أمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وجْهِهِ ثُمَّ أُلْقِيَ في النار» رواه مسلم.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تبيانًا للحلال والحرام: «الحلال بيّن والحرام بيّن وبينهما أمور مُشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس. فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لعرضه ودينه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كراع يرعى حول الحمى يوشك أن يواقعه. ألا إن لكل ملك حِمى ألا وإن حِمى الله محارمه»(٢).

---

(١) رواه مسلم وأحمد وأبو داؤد.

(٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه رواه البخاري في الأدب ومسلم وأبو داؤد والترمذي والنسائي.

وهكذا فالحلال في القرآن بيّن والحرام كذلك بيّن فيه. أما الأمور المشتبهات فتعامل كما ورد في الحديث الأخير بالاجتناب خوفًا من الوقوع في الحرام. وهكذا من فعل ذلك أدخله الله به الجنة وشفعه في أهل بيته.

٣١- عن أبي شريح الخزاعي[١] قال، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: خرج علينا رسول الله ﷺ فقال أليس تشهدون أن لا إله إلا الله وأني رسول الله قالوا بلى قال إن هذا القرآن طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم فتمسكوا به فإنكم لن تضلوا ولن تهلكوا بعده أبدًا. الترغيب والترهيب[٢].

قال الله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴾ [طه: ١١٣] فما أنزل الله القرآن إلاّ هداية للبشر وهو كلام الله القديم المنزل الذي قاله ولم يزل يقوله فطرفه بيده. أما طرفه الآخر فهو المصحف الذي بين أيدينا فعلينا التمسك به فهو الحبل المتين الذي بيننا وبين ربنا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وقد صانه الله من التحريف والتبديل. قال الله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩] فإذا ما اشتد الأمر واختلف الناس واختلطت المسالك ولم يعرفوا ماذا يفعلون كانت الفرقة الناجية تلك التي تتمسك بكتاب الله تعالى ومن بعده سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما سيأتي في الحديث ٣٥.

٣٢- عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «كان الكتاب الأول ينزل من باب واحد، على حرف واحد، ونزل

---

(١) هو خويلد بن عمر الخزاعي ثم الكعبي أسلم قبل الفتح وكان معه لواء خزاعة يوم الفتح توفي بالمدينة عام ٦٨ هـ.

(٢) بإسناد جيد وأورده الألباني في صحيح الترغيب والترهيب والوادعي بإسناد حسن.

القرآن من سبعة أبواب على سبعة أحرف: زجر، وأمر: وحلال، وحرام، ومحكم، ومتشابه، وأمثال، فأحلوا حلاله، وحرموا حرامه، وافعلوا ما أمرتم به، وانتهوا عن ما نهيتم عنه، واعتبروا لأمثاله، واعملوا بمحكمه، وآمنوا بمتشابهه، وقولوا: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾[آل عمران: ٧] » **كنز العمال**(١).

الحلال بيّن في كتاب الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ﴾[الأعراف: ١٥٧] وهو بيّن واضح في آيات كثيرة مثل قوله تعالى: ﴿وَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تُقۡسِطُواْ فِي ٱلۡيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تَعۡدِلُواْ فَوَٰحِدَةً﴾ [النساء: ٣] ومثل قوله تعالى ﴿أُحِلَّ لَكُمۡ لَيۡلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمۡ﴾[البقرة: ١٨٧].

والحرام بيّن فالله تعالى قد حرم الخبائث. قال تعالى: ﴿فَٱجۡتَنِبُواْ ٱلرِّجۡسَ مِنَ ٱلۡأَوۡثَٰنِ وَٱجۡتَنِبُواْ قَوۡلَ ٱلزُّورِ﴾[الحج: ٣٠] وفي آية أخرى: ﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحۡمُ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلۡمُنۡخَنِقَةُ وَٱلۡمَوۡقُوذَةُ وَٱلۡمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيۡتُمۡ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسۡتَقۡسِمُواْ بِٱلۡأَزۡلَٰمِ﴾[المائدة: ٣]. والمحكم هو الثابت الحكم والذي يعطي قاعدة قانونية محكمة مثل قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ﴾ [النساء: ١١] ومثل قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا﴾[المائدة: ٣٨] فذلك مما يجب اتباعه والعمل به كما ورد في الحديث.

والمتشابه هو ما كان غير واضح المعنى لبعض الناس ومن أمثاله الحروف

(١) ابن جرير وأبو نصر السجزي في الأبانة وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة.

الموجودة في أوائل بعض السور مثل الم، ص، المص ومثله أيضا الآيات الدقيقة المعنى مثل قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] فالاستواء معلوم لكن في حق الله تعالى لا نعلم كيف يكون ذلك فلا يشبهه استواء أحد من خلقه فليس كمثله شيء. وقد أمرنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن نتفكر في خلق الله ولا نتفكر في ذات الله تعالى. ورغم أن الكثير من الآيات المتشابهات لبعض الناس هي محكمات واضحات للراسخين في العلم، وبعض الآيات المتشابهات غير الواضحات في زمن ما يتضح معناها وتكون محكمة في زمن آخر، فإن على المؤمن أن يؤمن بمثل هذه الآيات ولا ينقب عن دقائقها بغير علم.

والأمثال في القرآن الكريم للاعتبار والعظة منها أمثال عن الأمم السالفة ومنها تشبيهات بأمور محسوسة. قال الله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢٦١] فالله يضاعف الحسنات. الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف كيف يشاء ولمن يشاء مثل ما يخرج من الحبة الواحدة سبعمائة حبة والله على كل شيء قدير، وعلى المؤمن الاعتبار بتلك الأمثال وأخذ العظة.

٣٣- سئل عبد الله بن أبي أوفى(١): أوصى النبي صلى الله عليه وآله وسلم؟ قال لا. قلت كيف كتب على الناس الوصية أمروا بها ولم يوصي؟ قال أوصى بكتاب الله عز وجل. **رواه الستة إلا أبا داؤد.**

لم يكن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليوصي أمته من بعده بأفضل من

(١) هو علقمة بن خالد بن الحارث الأسلمي شهد مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم غزوة حنين وكان من أصحاب الشجرة.و كان آخر من مات من الصحابة في الكوفة سنة ٨٧ هـ.

اتباع كتاب الله فهو الكتاب الذي يحوي وصية الله ورسوله لأمته بعده قال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[العنكبوت: ٥١].

أما وصايا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الأخرى فهي أحاديثه وسنته التي نقلها عنه الصحابة الكرام رضوان الله تعالى عليهم أجمعين والمقصود من سؤال الصحابي عن كتابة الوصية أن الله تعالى قال: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾[البقرة: ١٨٠] فالله تعالى أمر الناس بالوصية كما أمر صلى الله عليه وآله وسلم من كان عليه دين أو أمر يستحق الوصية أن يكتب وصية ولا يؤجلها فالموت أقرب لابن آدم من شراك نعله.

٣٤- عن جابر بن عبد الله[1] رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا خطب احمرت عيناه، وعلا صوته واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش، يقول: «صبَّحكم ومسَّاكم» ويقول «بعثت أنا والساعة كهاتين» ويقرن بين أصبعيه السبابة والوسطى ويقول:«أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد وشرّ الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة» ثم يقول أنا أولى بكل مؤمن من نفسه من ترك مالاً فلأهله ومن ترك دينًا أو ضياعًا فإليّ وعليّ. رواه مسلم.

من أسس الإيمان الرئيسة: الإيمان بكتاب الله وبأنه أصدق الحديث فمن شك في صدق شيء منه أو اتخذ كتابًا آخر وفضله على كتاب الله عز وجل أو اعتقد بأنه

(١) هو جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصاري السلمي شهد ١٩ غزوة من غزوات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلاّ غزوة بدر وأحد وقد قتل أبوه فيها. توفي سنة ٧٤هـ عن عمر قدره ٩٤ سنة.

أصدق من كتاب الله فهو كافر خارج عن ملة المسلمين. ويلي في وجوب الاتباع بعد القرآن سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

والبدعة كل أمر محدث يخالف القرآن الكريم أو السنة النبوية أو أحد الأسس الواردة فيهما. ويوضح هذا التعريف حديث آخر لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من أحدث في أمرنا هذا مال ليس منه فهو رد»(١) فالأحداث في الدين ما ليس منه هو البدعة. أما إحداث أمر من الدين فهو ليس بدعة فمثلاً إن دحض شبهات أعداء الإسلام بحجج جديدة هو من الدين وغير مشمول بحديث البدعة فهو أمر حسن، وهكذا يمكن معرفة كل أمر مستحدث هل هو سنة حسنة أم بدعة سيئة. ولنأخذ مثالين على ذلك: التدخين بدعة لأنها ليست من الدين وليس هناك في الدين ما يؤيد استنشاق المرء للدخان فليس هو بطعام أو شراب مما أحل الله.

ومثال السنة الحسنة استخدام مكبرات الصوت في الأذان مثلاً فهو أمر مستحدث لكنه حسن لأن من ما يدعو إليه الدين إبلاغ صوت المؤذن لأبعد مسافة ممكنة. واستخدام آلة جديدة تساعد بذلك أمر حسن. وقس على ذلك كل أمر مستحدث للتفريق بين البدعة والسنة الحسنة.

٣٥- عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «ألا إنها ستكون فتنة» فقلت ما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: «كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحُكم ما بينكم هو الفَصْلُ ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى في غيره أضلّه الله وهو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم، هو الذي لا تزيغ به الأهواء ولا

(١) رواه البخاري ومسلم وأبو داؤد وابن ماجة عن عائشة رضي الله عنها.

تلتبس به الألسنة ولا يشبع منه العلماء ولا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضي عجائبه. هو الذي لم تنتهي الجن إذ سمعته حتى قالوا إنّا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد. من قال به صدق ومن عمل به أُجر ومن حكم به عَدَل ومن دعا إليه هُدي إلى صراط مستقيم» **رواه الترمذي**[١].

هذا الحديث الشامل لصفات كتاب الله تعالى، حديث عظيم الشأن. ينبغي التمعن فيه فهو جواب شاف للمخرج من الفتن في أي وقت حدثت وجوابها هو العودة إلى كتاب الله تعالى فإن فيه:

- نبأ ما قبلنا من أخبار وقصص لأمم سلفت. كذبت فمحقت أو صدقت فأثيبت.
- وخبر ما بعدنا من أخبار إلى يوم القيامة وقيام الساعة منها نزول عيسى بن مريم عليه السلام وغيره مما يفقهه من يفقهه ويجهله من يجهله.
- وحكم ما بيننا من أحكام القصاص والأحوال الشخصية والمعاملات بين الأفراد والجماعات في أحوال الرخاء والشدة والسلم والحرب.
- هو الفصل. أحكامه قاطعه وقواعده الأصولية ثابتة وواضحة كحد السيف.
- ليس بالهزل فكله جد ليس فيه آية هزل وهو قول فصل. إما حلال وإما حرام أو محكم أو متشابه أو قصص وأمثال.
- من تركه من جبار قصمه الله تعالى فالقرآن يأمر بالعدل والإحسان والعدل هو

(١) بإسناد ضعيف ورد في فضائل القرآن لإبن كثير وقال غريب من هذا الوجه وقصارى هذا الحديث أنما يكون من كلام أمير المؤمنين على رضى الله عنه، وقد وهم بعضهم فى رفعه، وهو كلام حسن صحيح على أنه قد روى له شاهد عن النبى ﷺ في صحيح ابن حبان عن عبدالله بن مسعود بإسناد لا بأس به في المتابعات.

أساس الملك فمن ترك العدل من أولي الأمر عاقبه الله وأخذه أخذ عزيز مقتدر.

- ❖ من ابتغى الهدى في غيره أضله الله. فليس هناك هدىً في شريعة يضعها غير الله ومن أراد العزة ففيه العزة ومن ضل عن هداه إلى ما سواه أخزاه الله في الدنيا ولعذاب الآخرة أشد.
- ❖ هو حبل الله المتين طرفه بيد الله وطرفه الثاني بأيدينا فمن استمسك به فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها.
- ❖ وهو الذكر الحكيم. فمن أراد ذكر الله فلا أفضل من تلاوة كتابه فكله حكمة.
- ❖ هو الصراط المستقيم. من سار على نهجه فلن يكون من المغضوب عليهم ولا من الضالين.
- ❖ لا تزيغ به الأهواء فمن ابتغى الهوى في تفسيره وأحكامه فلن يلبث أن تنكشف حبائله لأن الله وعد بحفظه فقال: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾[الحجر: ٩].
- ❖ لا تلتبس به الألسنة فهو قرآن عربي مبين اللفظ متواتر النص لن يزاد فيه حرف أو ينقص منه.
- ❖ لا يشبع منه العلماء فكل علوم الشريعة مرجعها إلى القرآن، وكل ما نهلوا فإنما من بحره ومن أراد المزيد فلن يروي غليله.
- ❖ لا يخلق على كثرة الرد فكلما تلي القرآن مرة بعد أخرى وجد القارئ له حلاوة وكأنه يتلوه من جديد وظهرت له معانٍ جديدة وفهمه المؤمن فهمًا جديدًا ولن يشعر به أحد أنه قد أصبح عتيقًا إلاّ من قد أعمى الله بصيرته فضَلَّ عن سواء السبيل، فقد تحدى الله تعالى أن يؤتى ولو بآية من مثله وهذا التحدي قائم إلى يوم القيامة ولن يستطيع أن يأتي بشر بآية من مثله.

- ❖ لا تنقضي عجائبه، فما ظهر من عجائبه بعد زمن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أكثر بكثير مما ظهر في حياته وما سيظهر في المستقبل كثير وكثير.
- ❖ لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ﴾ [الجن: ١-٢] فهو كتاب الله لهداية الجن والإنس وما كان عجبًا للجن فهو أعجب منه للإنس، وما قد هدى الجن إلى الرشد يهدي الإنس إلى ما هو أرشد.
- ❖ من قال به صدق فكله حق وليس فيه غير الصدق.
- ❖ ومن عمل به أجر فالعمل وفقه يضاعفه الله: الحسنة بعشر أمثالها إلى ما شاء الله.
- ❖ من حكم به عدل سواء كان الحكم للمرء مع نفسه أو مع أسرته أو مع مجتمعه أو حكم بين الناس فليس فيه غير العدل.
- ❖ من دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم. فهو دليل الدعاة إلى الحق وهو الصراط المستقيم.

أوَ ليس في هذا الحديث أشمل وأدق وأروع وصف للقرآن الكريم. فرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد أوتي جوامع الكلم، قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾[النجم: ٣-٤].

٣٦- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال، إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عام تبوك خطب الناس وهو مسند ظهره إلى نخلة فقال: «ألا أخبركم بخير الناس وشر الناس؟ إن خير الناس رجل عمل في سبيل الله على ظهر فرسه أو على ظهر بعيره أو على قدميه حتى يأتيه الموت وإن من شر الناس رجلاً فاجرًا يقرأ كتاب الله لا يرعوي إلى شيء منه» رواه أحمد والنسائي والحاكم وصححه.

خير الناس المجاهدون في سبيل الله الذين يستمرون في ذلك حتى يأتيهم الموت وشر الناس الفاجر الذي يقرأ القرآن ولا يعمل بشيء منه. والفاجر هو المرتكب للمعاصي سواء كان مسلمًا أم غير مسلم. ويشمل ذلك في زمننا هذا المستشرقين وتلامذتهم السائرين على نهجهم من المسلمين وعلماء السوء كما سيأتي في الأحاديث الثلاثة التالية.

قال بعض العلماء: إن العبد ليتلو القرآن فيلعن نفسه وهو لا يعلم. يقول: ﴿أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[هود: ١٨] وهو ظالم لنفسه ويقول ﴿ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾[آل عمران: ٦١] وهو منهم.

قال أبو سليمان الداراني: الزبانية أسرع إلى حملة القرآن الذين يعصون الله عز وجل منهم إلى عبدة الأوثان.

وقال بعض السلف: إن العبد ليفتتح سورة فتصلي عليه الملائكة حتى يفرغ منها وإن العبد ليفتتح السورة فتلعنه حتى يفرغ منها قيل وكيف ذلك؟ فقال: إذا أحل حلالها وحرم حرامها صلت عليه وإلا لعنته.

وروى ابن ماجه من حديث جندب قال: كنا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أوتينا العلم قبل القرآن وسيأتي قوم يُؤتَون القرآن قبل الإيمان يقيمون حروفه ويضيعون حدوده وحقوقه يقولون: قرأنا فمن أقرأ منا وعلمنا فمن أعلم منا، فذلك حظهم وفي لفظ أولئك شرار هذه الأمة.

وقال قتادة: لم يجالس أحد هذا القرآن إلاّ قام بزيادة أو نقصان. وقال الله تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾[الإسراء: ٨٢].

٣٧- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم

قال: «يخرج فيكم قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم وصيامكم مع صيامهم وعملكم مع عملهم ويقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم. يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ينظر في النصل فلا يرى شيئًا وينظر في القدح فلا يرى شيئًا وينظر في الريش فلا يرى شيئًا ويتمارى من الفُوَقِ». رواه الأربعة.

المروق من الدين: أخذ ما يوافق هواه وترك ما سواه. والمعنى اللغوي للمروق هو سرعة الخروج أي يخرجون من الدين بسرعة كسرعة السهم من الرمية.

وروى مسلم وأبو داؤد والنسائي هذا الحديث بلفظ «يأتي في آخر الزمان قوم حدثاء الأسنان سفهاء الأحلام يقولون من خير قول البرية يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية لا يجاوز إيمانهم حناجرهم فأين لقيتموهم فاقتلوهم فأن قتلهم أجر لمن قتلهم يوم القيامة».

وينطبق هذا الحديث على من أوتي علمًا وسعة اطلاع في علوم الشريعة لكنه لا إيمان له كالمستشرقين وتلامذتهم يتكلمون كلامًا معسولاً عليه صبغة الدقة والعلمية والرغبة في الوصول إلى الحقيقة لكنه يخفي في جنباته الحقد على الإسلام ومحاولة الطعن فيه وهدمه بأساليب خبيثة.

وينطبق أيضا على المبتدعين من أهل الأهواء الذين اقتنعوا بأفكار فاسدة وهم يريدون أن يثبتوها بالأخذ من الدين ما يوافق آراءهم وترك سائره ويسلكون في سبيل ذلك أسلوب جمع المعلومات المؤيدة لأهوائهم وبدعهم وبذا يظهرون أمام البسطاء والسذج كعلماء مدققين مقنعين في كلامهم ومصيبين في استنتاجاتهم.

قال معاذ بن جبل[1] رضي الله عنه: إن ورائكم فتنًا يكثر فيها المال ويفتح فيها القرآن حتى يأخذه المؤمن والمنافق والرجل والمرأة والصغير والكبير والحر والعبد فيوشك قائل أن يقول ما للناس لا يتبعونني وقد قرأت القرآن! ما هم بمتبعيَّ حتى أبتدع لهم غيره! فإياكم وما يبتدع فإن من ابتدع ضلالة واحذركم زيغة الحكيم فإن الشيطان قد يقول كلمة الضلالة على لسان الحكيم وقد يقول المنافق كلمة الحق. فقيل له ما يدريني رحمك الله أن الحكيم يقول كلمة الضلالة وأن المنافق يقول كلمة الحق قال بلى. اجتنب من كلام الحكيم المستهترات التي يقال ما هذه؟ ولا يثنينك ذلك عنه وإنه لعله برجع ويتبع الحق إذا سمعه فإن على الحق نورًا.

٣٨- عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أكثر منافقي هذه الأمة قراؤها» **رواه أحمد والبيهقي وابن عدي والطبراني**[2].

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾[النساء: ١٤٥].

النفاق هو إخفاء الكفر والجحود وإظهار الإيمان. وقد ظهر النفاق في المدينة زمن

(١) معاذ بن جبل الأنصاري الخزرجي الإمام المقدم في علم الحلال والحرام شهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وروى أحاديث كثيرة عنه وأمّره رسول الله على اليمن وقد دعا له رسول الله ووصفه بأنه أعلمهم (الصحابة) بالحلال والحرام توفي بالطاعون في الشام عام ١٧هـ وعمره ٣٤ سنة.

(٢) في سنده ضعف من رواية إبن لهيعة وهو بسند صالح في ميزان الإعتدال عن ابن عباس رضي الله عنهما وهو محفوظ في سير أعلام النبلاء عن عقبة بن عامر وله متابعة في التأريخ الكبير للبخاري.

الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فأنزل الله تعالى الآيات البينات تبيانًا لصفاتهم. قال تعالى: ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾[النساء: ١٤٢] فهم يظهرون حسن الكلام ﴿وَإِن يَقُولُواْ تَسۡمَعۡ لِقَوۡلِهِمۡ﴾[المنافقون: ٤] ويبطنون ممالأة الكفار ﴿وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ﴾ [البقرة: ١٤] وشدد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في وعيدهم مظهرًا خصالهم وصفاتهم في الحديث الشريف: «آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا اؤتمن خان»[(١)]. فالمنافقون ليسوا جهلة أميين بل هم متعلمون لكن لا إيمان لهم. فأكثر المنافقون في هذه الأمة هم ممن يقرأ القرآن ويستهزئ بأحكامه لفظًا أو فعلاً.

إن المعاصي التي يرتكبها المسلم واتباع الهوى قد تقوده إلى النفاق فهي تحجبه عن رؤية الحق وتمييزه عن الباطل. فهو رغم معرفته بالآيات البينات إلاّ أنه لا يجد الرغبة في اتباعها. قال أحد العلماء: الغريب هو القرآن في جوف الفاجر.

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: أنزل القرآن عليهم ليعملوا به فاتخذوا دراسته عملاً. إن أحدكم ليقرأ القرآن من فاتحته إلى خاتمته لا يسقط منه حرفًا وقد أسقط العمل به.

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إذا رأيتم العالم محبًا للدنيا فاتهموه على دينكم فإن كل محب يخوض فيما أحب. وقال الحسن البصري[(٢)] رضي الله عنه عقوبة العلماء موت القلوب وموت القلوب هو طلب الدنيا بعمل الآخرة.

---

(١) رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي عن أنس بن مالك.

(٢) الحسن بن أبي الحسن البصري، اسم أبيه يسار وهو فقيه فاضل مشهور وهو من أواسط التابعين توفي سنة ١١٠هـ وقد قارب التسعين.

وقال الشعبي[1] يطلع يوم القيامة قوم من أهل الجنة على قوم من أهل النار فيقولون لهم ما أدخلكم النار وإنما دخلنا الجنة بفضل تأديبكم وتعليمكم فيقولون إنا كنا نأمر بالخير ولا نفعله وننهى عن الشر ونفعله.

٣٩- قال صلى الله عليه وآله وسلم: «من قرأ القرآن عند ظالم ليرفع منه لعن بكل حرف عشر لعنات» **رواه البخاري في التأريخ الكبير بسند صالح**[2].

قال سفيان الثوري[3]: في جهنم واد لا يسكنه إلا القراء الزائرون للملوك، وقال حذيفة بن اليمان[4] رضي الله عنه: إياكم ومواقف الفتن، قيل وما هي قال أبواب الأمراء يدخل أحدكم على الأمير فيصدقه بالكذب ويقول فيه ما ليس فيه.

وقال مكحول الدمشقي[5] من تعلم القرآن وتفقه في الدين ثم صحب السلطان تملقًا إليه وطمعًا فيما لديه خاض في بحر من نار جهنم بعدد خطاه وقال: وعلماء زماننا شر من علماء بني إسرائيل يخبرون السلطان بالرخص وبما يوافق هواه ولو أخبروه بالذي عليه وفيه نجاتهم لاستثقلهم وكره دخولهم عليه وكان ذلك نجاة لهم

(١) هو عامر بن شراحيل أبو عمرو الشعبي ثقة مشهورة وفقيه فاضل من صغار التابعين. توفي بعد عام ١٠٠هـ وله من العمر ٨٠ سنة.

(٢) وفي كنز العمال روى الديلمي عن ابن عمر ما يشابهه.

(٣) سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري الكوفي يكنى بأبي عبد الله وهو ثقة حافظ فقيه عابد إمام حجة من كبار التابعين توفي سنة ١٦١ وعمره ٦٤ سنة.

(٤) هو حذيفة بن اليمان واسم أبيه حسل. أسلم هو وأبوه وأرادا شهود معركة بدر فصدهما المشركون وشهدا أحدًا. توفي بالمدائن عام ٣٦هـ وقد روى أحاديث كثيرة وكان مؤتمن سر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

(٥) مكحول أبو عبدالله الدمشقي الشامي ثقة فقيه مشهور وهو من صغار التابعين مات سنة بضعة عشر ومائة.

عند ربهم.

وكما أن تلاوة القرآن تضاعف بكل حرف عشر حسنات كما ورد في حديث سابق (الحديث ٢) فكذلك من يستخدم القرآن عند الظلمة ليرفع من شأنهم فعليه بكل حرف منه عشر لعنات وهكذا كل من استهزأ بحرمات الله واستخدم الدين ابتغاء عرض من أعراض الدنيا. ومن يتعدَّ حدود الله فأولئك هم الظالمون قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ ﴾ [البقرة: ١٧٤] فالقارئ الذي يكتم قول الحق ابتغاء ثمن قليل ومتاع زهيد من متاع الدنيا، إنه إنما يأكل ما يأكل نارًا وسيصلى سعيرًا.

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: أخشى عليكم زلة عالم وجدال منافق بالقرآن. والقرآن حق وعلى القرآن منار كمنار الطريق ومن لم يكن غنيًا عن الدنيا فلا دنيا له.

الباب الخامس

كيفية تلاوة القرآن

قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨] وقال في آية أخرى ﴿أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ [المزَّمل: ٤]. لذلك يجب الاعتناء بكيفية التلاوة وأسلوبها تعظيمًا لكتاب الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢].

٤٠- عن علي بن أبي طالب وسمرة بن جندب رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «طيبوا أفواهكم بالسواك؛ فإنها طرق القرآن» رواه البيهقي في شعب الإيمان[1].

الاستياك مطهر للفم مرضاة للرب. فمن أكرم القرآن بتطييب فمه فقد عظّم شعائر الله تعالى. لذلك فإن الوضوء لتلاوة القرآن مستحب من باب أولى.

هذا وقد ورد أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يتلو القرآن على كل حال إلاً أن يكون محدثًا وذلك دليل على جواز التلاوة على غير وضوء ولكن التلاوة مع الوضوء أفضل.

(١) ورد في صحيح الجامع للألباني

ولمس المصحف عن طهارة تعظيم لشعائر الله أيضًا وتطبيق حرفي لقوله تعالى: ﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ﴾ [الواقعة: ٧٩] وهو المشهور عن جمهور العلماء أنه لا يجوز مس المصحف بغير وضوء.

سئل سعيد بن المسيب(١) رضي الله عنه عن حديث من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكان متكئًا فاستوى جالسًا وقال «أكره أن أحدث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأنا متكئ». وكلام الله تعالى أولى بالتعظيم من حديث رسوله، ويستحب استقبال القبلة وإطراق الرأس وعدم التربع أو الاتكاء أو الجلوس على هيئة من هيئات التكبر. وكان الإمام مالك بن أنس(٢) رضي الله عنه يتطيب ويلبس فاخر ثيابه عند تحديثه بحديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فكيف بتلاوة كلام الله تعالى.

وأفضل القراءة هي في الصلاة قائمًا مع الترتيل والبكاء في جوف الليل خاليًا فإن قرأ جالسًا أو مضطجعًا جاز ذلك وله ثواب في ذلك أيضًا ولكن أقل من الأول. قال الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ [آل عمران: ١٩١] وقد أثر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تلاوة سورة وآيات وهو مضطجع قبل نومه.

(١) سعيد بن المسيب بن حزن القريشي المخزومي أحد كبار التابعين ومن الفقهاء الكبار كان أوسع التابعين علمًا توفي بعد عام ٩٠هـ وقد ناهز الثمانين.

(٢) مالك بن أنس بن مالك الأصبحي إمام دار الهجرة وهو من تابع التابعين وأحد الإئمة الأربعة المجتهدين قال البخاري عنه أصح الأسانيد كلها مالك عن نافع عن ابن عمر، مات سنة ١٧٩ وقد بلغ ٩٠ سنة.

كما أن تطهير الفم بالسواك مستحب وفق هذا الحديث فإن ترك تناول ما يعطي رائحة خبيثة للفم أمر مستحب أيضا، فينبغي عدم تناول الفوم والبصل قبل تلاوة القرآن. والتدخين من الخبائث التي تعطي رائحة كريهة لفم المدخن فالإقلاع عنه مرضاة للرب مطهرة للفم وهو من هوى النفس الذي قال الله تعالى عنه: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾[النازعات: ٤٠-٤١].

والحديث الشريف هذا يدل على ضرورة الاعتناء بالظاهر وفي الوقت نفسه الاهتمام بالباطن. فما أنزل الله تعالى القرآن إلاّ ليعمل به لكن مقدمة العمل هي التلاوة والتدبر ومن تلى وتدبر وعظّم التلاوة فقد عمل بالقرآن نفسه أول ما تلى بل وقبل التلاوة. وهكذا فإن الشريعة عمومًا تطالب بتحسين الظاهر والباطن على حد سواء ولا صحة لمن يدعي اهتمامها بجانب واحد هو سلامة الباطن متذرعًا بحديث «إنما الأعمال بالنيات»[1]. فرغم صدق ذلك وان الحديث يعتبر أصلاً عظيمًا من أصول الشريعة إلاّ أن الحديث لا بعطي حتى ولو إشارة إلى ترك الاعتناء بالظاهر وتركيز الاهتمام كله على الباطن. ولو كان الإسلام يعتني بتطهير الباطن فقط لما اشترط للصلاة قيامًا أو قعودًا ولا ركوعًا أو سجودًا بل اكتفى بدعاء القلب فقط. وإن خير الأعمال ما اقترن فيه صدق الباطن بسلامة الظاهر.

وإذا كان الفم هو طريق القرآن فمن السنة تطييبه بالسواك إكرامًا للقرآن، أليس من الأولى إكرام القرآن بتطييب الفم بتجنيبه فحش الكلام وقول الزور والكذب والغيبة والنميمة والبهتان والهمز واللمز والاستهزاء وقهقهة الضحك والتدخل فيما لا

(١) متفق عليه.

يعني «وهل يكب الناس في النار على مناخرهم يوم القيامة إلاّ حصائد ألسنتهم»[1].

وقال أبو الليث السمرقندي: لا بأس أن يقرأ الجنب والحائض أقل من آية واحدة كما أنه لا بأس أن تقرأ الآية التي فيها دعاء بنية الدعاء.

ويروى عن الإمام الشافعي[2] في قوله القديم أنه كان يجيز للحائض أن تقرأ القرآن خشية النسيان.

٤١- نعتت أم سلمة[3] رضي الله عنها قراءة النبي صلى الله عليه وآله وسلم فإذا هي تنعت قراءة مفسرة حرفًا حرفًا. **أخرجه أبو داؤد والنسائي والترمذي وقال حسن صحيح.**

القراءة المفسرة حرفًا حرفًا هي إخراج كل حرف من مخرجه الصحيح وهي أساس قواعد التجويد. روى البيهقي من حديث ابن عمر رضي الله عنهما: «من قرأ القرآن فأعرب في قراءته كان له بكل حرف عشرون حسنة ومن قرأه بغير إعراب كان له بكل حرف عشر حسنات».

وقال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: لئن أقرأ البقرة وآل عمران وأرتلهما

---

(١) أخرجه الترمذي وصححه ابن ماجه والحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه حين سأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنؤاخذ بما نقول فقال ثكلتك أمك يا معاذ وهل يكب.. الحديث.

(٢) هو محمد بن إدريس الشافعي المطلبي أحد الأئمة الأربعة المجتهدين اعتبره أغلب العلماء المجدد على رأس المائتين بعد الهجرة توفي سنة ٢٠٤هـ وله ٥٤ سنة.

(٣) أم المؤمنين هند بنت أبي أمية بن المغيرة كانت زوج ابن عمها أبو سلمة فمات عنها فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سنة ٤هـ وكانت ممن أسلم وهاجر إلى الحبشة ماتت سنة ٥٩هـ.

وأتدبرهما أحب إلي من أن أقرأ القرآن كله هذرمة. وسُئل مجاهد[1] عن رجلين دخلا في الصلاة فكان قيامهما واحدًا إلاّ أن أحدهما قرأ البقرة فقط والآخر قرأ القرآن كله فقال هما في الأجر سواء.

٤٢- عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه سُئِل كيف كانت قراءة النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: كانت مدًا ثم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم يمد بسم الله ويمد بالرحمن ويمد بالرحيم. رواه البخاري وأبو داؤد.

ينبغي للمسلم أن يتعلم قواعد التجويد ويطبقها في قراءته للقرآن بل وفي لفظه للغة العربية وما قواعد التجويد سوى أسلوب للفظ الكلام العربي بصيغته المتقنة الصحيحة بإخراج كل حرف من مخرجه الصحيح وإعطاء الكلام جمال الصوت الممكن بما يضفي على التلاوة خشوعًا وبهاءً وتأثيرًا لدى السامع وتعظيمًا لكلام الله تعالى.

وحسن التلاوة والترتيل تؤكد الاهتمام بظاهر التلاوة إضافة إلى بواطنها من تطبيق للأحكام وإيمان بالقلب فالله هو الظاهر وهو الباطن ويريد أن يتخلق العبد بأخلاق الله فينظف ظاهره وباطنه ويعتني بجمال تلاوته للقرآن وفي الوقت نفسه يحسن تطبيق الأحكام.

٤٣- عن عائشة رضي الله عنها قالت أبطأت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليلة بعد العشاء ثم جئت فقال: «أين كنت؟» قلت كنت أسمع قراءة رجل من أصحابك لم أسمع مثل قراءته وصوته من أحد قالت فقام فقمت معه حتى أستمع له ثم التفت إلي فقال: «هذا سالم مولى أبي حذيفة الحمد لله الذي جعل في أمتي مثل

---

(١) مجاهد بن جبر أبو الحجاج المخزومي المكي كان إمامًا في التفسير وفي العلم من أواسط التابعين توفي سنة ١٠١هـ وله ٨٣ سنة.

هذا» **رواه ابن ماجد باسناد جيد.**

سالم رضي الله عنه كان عبدًا لأبي حذيفة فأعتقه فما عرف إلاّ بسالم مولى أبي حذيفة. كان حسن الصوت ومن كبار علماء الصحابة وأتقيائهم رضوان الله تعالى عليهم. قال عنه عمر بن الخطاب رضي الله عنه حينما أراد أن يعهد بالخلافة من بعده لستة الشورى: لو كان سالم مولى أبي حذيفة حيًا لوليته الخلافة من بعدي. وهكذا يرفع الله الموالي من العبيد بفضل كتابه إلى درجة الترشيح للخلافة. وممن؟ من عمر بن الخطاب لولا أنه قد توفي قبله. وهكذا ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾[المجادلة: ١١] وكفى بتزكية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم له إذ قال: الحمد لله الذي جعل في أمتي مثل هذا وما كان ذلك إلاّ بفهمه القرآن وحبه للقرآن وتلاوته للقرآن وعلمه بالقرآن.

٤٤- عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «ليس منا من لم يَتَغَنَّ بالقرآن» **أخرجه البخاري.**

يقول الإمام الشافعي رضي الله عنه: التغني بالقرآن هو أن يتحزن ويترنم به. وسئل ابن أبي مُليكة(١) قيل له أرأيت إن لم يكن الرجل حسن الصوت فقال: يُحسِّنه ما استطاع وقد ورد في الصحيحين عن جبير بن مطعم(٢) رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقرأ في المغرب بالطور فما سمعت أحدًا أحسن صوتًا أو قراءة منه فلما سمعته قرأ ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾[الطور: ٣٥]

(١) هو عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة ويقال أن اسم أبي مليكة زهير التميمي المدني.

(٢) هو جبير بن معطم بن عدي القريشي أسلم قبل الفتح وتوفي في خلافة معاوية وكان من أكابر قريش وأعلمها بالأنساب.

كاد قلبي يطير وكان جبير لما سمع هذا بَعْدُ مشركًا على دين قومه وإنما كان قدم في فداء الأسارى بعد بدر. وقد سمع المؤلف أحد النصارى يقول: إن جلدي ليقشعر حين أسمع ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[الفاتحة: ٥] وأشعر بأن ذلك هو أبلغ مناجاة لله.

إن من آداب تلاوة القرآن البدء بالاستعاذة لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨]. وقد اختلف العلماء هل الإسرار بالقرآن أفضل أم الجهر فالإسرار أبعد عن الرياء والتصنع وعدم التشويش على الآخرين حيث ورد أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خرج يومًا على أصحابه وهم يصلون في المسجد فقال: «يا أيها الناس كلكم يناجي ربه فلا يجهر بعضكم على بعض في القراءة» أما الجهر بالقراءة فإنه يوقظ قلب القارئ ويجمع همه إلى الفكر ويصرف إليه سمعه ويطرد النوم ويؤثر في غيره أو يوقظهم للتهجد فإن كانت النية خالصة في ذلك كان الجهر أفضل.

٤٥- عن فضالة بن عبيد[١] رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «الله أشد أُذُنًا إلى قارئ القرآن من صاحب القَيْنَةِ إلى قَيْنَتِهِ» **رواه ابن ماجه وابن حبان والحاكم وصححه.**

من أقبل على الله أقبل الله عليه ومن تقرب إلى الله شبرًا تقرّب الله منه ذراعًا ومن أتى إلى الله مشيًا أتاه الله هرولة ومن قرأ كتاب الله ورتّله وحسّن صوته فيه خشوعا لله وإقبالاً عليه وتقربًا إليه فالله ينصت له ويسمع ويباهي به ملائكته. إن

(١) صحابي من الأنصار أسلم قديمًا ولم يشهد بدرًا وشهد أحدًا فما بعدها وشهد فتح مصر والشام ولاّه معاوية قضاء دمشق بعد أبي الدرداء وكان ممن بايع تحت الشجرة. توفي في خلافة معاوية.

العبد بتقربه إلى الله تعالى لا يُقَدم نفعًا لله تعالى وإنما يقدم عملاً صالحًا لا بد وأن يكون ثوابه تقرب الله منه وإنصاته لدعائه ورفع درجاته في الدنيا والآخرة. والله لا يشغله إصغائه لعبد عن عبيده ولا فرحه بتوية عبد عن غضبه على عصيان الآخر. فالعبد إذا قرأ كتاب الله أصغى الله لتلاوته ولله المثل الأعلى فالله أشد إصغاء لعبده من صاحب الآلة الموسيقية إلى آلته وهل إصغاء الله لقارئ القرآن سوى رفع الدرجات وتكثير للحسنات وتكفير للسيئات وإجابة للدعوات وبركة من الله وهداية إلى الصراط المستقيم. وعن أبي هريرة؛ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «ما أذن الله لشيء كأذنه لنبي، يتغنى بالقرآن يجهر به».[1]

كأذنه (هو بفتح الهمزة والذال، وهو مصدر أذن يأذن أذنًا كفرح يفرح فرحًا).

يتغنى بالقرآن معناه عند الشافعي وأصحابه وأكثر العلماء وأصحاب الفتوى، يحسِّن صوته به. وقال الشافعي وموافقوه: معناه تحزين القراءة وترقيقها.واستدلوا بالحديث الآخر: زينوا القرآن بأصواتكم وقال الهروي: معنى يتغنى به، يجهر به . وما أذن الله لشيء ما أذن لنبي (ما الأولى نافية والثانية مصدرية)، أي ما استمع لشيء كاستماعه لنبي. قال العلماء: معنى أذن في اللغة الاستماع. ومنه قوله تعالى: وأذنت لربها وحقت. ولا يجوز أن تحمل هنا على الاستماع بمعنى الإصغاء. فإنه يستحيل على الله تعالى، بل هو مجاز. ومعناه الكناية عن تقريبه القارئ وإجزال ثوابه.

وعن عبدالله بن بريدة، عن أبيه؛ قال :قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «إن عبدالله بن قيس، أو الأشعري أعطي مزمارًا من مزامير آل داود»[2]. أعطي مزمارا من مزامير آل داود (شبه حسن الصوت وحلاوة نغمته بصوت المزمار) . قال

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم.

العلماء: المراد بالمزمار هنا الصوت الحسن.

وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يستمع تلاوة أبي موسى الأشعري ويصفه بأنه أوتي مزمارًا من مزامير آل داؤد لحسن صوته وحلاوته وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول لأبي موسى رضي الله عنه ذكِّرنا ربنا فيقرأ عنده حتى يكاد وقت الصلاة أن يتوسط فيقال يا أمير المؤمنين الصلاة الصلاة فيقول أوَ لسنا في صلاة؟ إشارة إلى قوله تعالى ﴿وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ﴾[العنكبوت: ٤٥].

٤٦- عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إقرأوا القرآن بلحون العرب وأصواتها وإياكم ولحون أهل الكِتابَينِ وأهل الفسق فإنه سيجيء أقوام يُرجِعونَ بالقرآن ترجيع الغناء والرهبانية لا يجاوز حناجرهم مفتونة قلوبهم وقلوب من يعجبهم شأنهم» **أخرجه الطبراني والبيهقي.**

نُقل عن الإمام مالك تحريم القراءة بالألحان وحكى الماوردي عن الإمام الشافعي أن القراءة بالألحان إذا انتهت إلى إخراج بعض الألفاظ عن غير مخارجها حرمت.

أما الأمر هنا بالتلاوة بالألحان فإن ذلك ضمن قواعد اللغة العربية وما توارثه العرب. والنهي عن الألحان المبتدعة سواء ما اقتبس من اليهود والنصارى أو ما تعارف عليه أهل الفسق والمجون من أغان وألحان متميعة فالألحان الغنائية والرهبانية للقرآن كلاهما حرام. ومن اهتم بتجميل الصوت خارج قواعد التجويد وما تعارف عليه العرب المسلمون لا بد له وأن يفقد روح التلاوة من تدبر وخشوع وحلاوة.

إن مخالفة أهل الكتاب من اليهود والنصارى قاعدة أصولية ثابته بقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «خالفوا اليهود والنصارى» أو «خالفوا اليهود والمجوس أُحفُوا

الشوارب وَأَوْفِرُوا اللِّحى»[1] وكذلك بنهى الله تعالى المسلمين عن توليهم: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡ﴾ [المائدة: ٥١].

يحوي هذا الحديث إشارة إلى النهي حتى عن أن يعجبنا شأن المبتدعين والمخالفين لأوامر الله أو الذين يتغنون بالقرآن خارج حدود التلاوة الشرعية المحددة بقواعد التجويد والترتيل فالرسول صلى الله عليه وآله وسلم حدد الإيمان بأن يكون الهوى تبعًا للشريعة بقوله: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعًا لما جئت به»[2] وهو بذلك يدعو المسلمين لتحويل أهوائهم لكي تكون تبعًا لما أنزل الله من كتاب وسنة ومن لا يكون هواه تبعًا لذلك فإيمانه ناقص، فلذلك من أعجبته تلاوة من يتلو غناء أو رهبانية فإن قلبه مفتون ويُخشى أن يكون من الضالين. وهكذا فإن الإسلام لا يكتفي بالأمر بالعمل بل بعمل على صقل الأهواء والرغبات لكي تكون موافقة لما يحبه الله ويرضاه.

٤٧- عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «أقرأني جبريل على حرف فراجعته ثم لم أزل أستزيده فيزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف» رواه الشيخان.

أُنزل القرآن الكريم بلغة العرب وبين قبائل العرب يوم نزل القرآن اختلاف في بعض الألفاظ أو في معانيها. لذلك وتوسعة على الأمة أُنزل القرآن بلغات قبائل العرب على سبعة أحرف ويقصد بالحرف - قراءة - أي على سبعة قراءات ومنها

(١) رواه البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما ولفظ مسلم خالفوا المشركين.

(٢) حديث حسن صحيح من أحاديث الأربعين النووية.

اشتقت القراءات السبعة والحكمة في ذلك التيسير. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾[القمر: ١٧، ٢٢، ٣٢، ٤٠] فالقراءات السبعة التى سماها رسول الله صلى الله عيه وآله وسلم بالحرف تجوز القراءة بأي منها وقد قام سلف الأمة من علماء القراءات بتحديد القراءات المتواترة التي أخذتها الأمة جيلاً بعد جيل. ومن أراد الاستزادة فليرجع إلى الكتب المعتمدة في القراءات وهذا العلم من علوم القرآن الجليلة.

٤٨- عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة والذي يقرأ القرآن وهو يشتد عليه له أجران» **رواه الأربعة**[١].

السفرة هم الملائكة الذين يتلون القرآن في عالم الملكوت وهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون قال الله تعالى: ﴿فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾[عبس: ١٤-١٦] فمن سهل عليه القرآن تلاوة وحفظًا وترتيلاً فهو مع هؤلاء الملائكة الذين آتاهم الله القرآن فهم ماهرون به وهو سهل عليهم. أما من يقرأ القرآن ويجد صعوبة في ذلك كأن يكون سيء الحفظ أو أميا تصعب عليه القراءة أو غير عربي لا يحسن النطق الصحيح أو تصعب عليه قراءة الحروف العربية، كل هؤلاء لهم أجران أجر التلاوة الصحيحة السليمة الميسرة وأجر الصعوبة التي يتكبدونها والأجر هنا على قدر المشقة.

ورفع الإمام الأوزاعي[٢] رضي الله عنه حديثًا عن رسول الله صلى الله عليه

(١) أي البخاري ومسلم والترمذي وابو داؤد.

(٢) عبد الرحمن بن عمرو بن أبي عمرو الأوزاعي يكنى بأبي عمرو فقيه جليل من أتباع التابعين

وآله وسلم: «إن العبد إذا قرأ فَحَرَّفَ أو أخطأ كتبه المَلَكُ كما نَزَلَ».

وهنا معنى حَرَّفَ أي نسي فحرف بعض التلاوة ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[البقرة: ٢٨٦]. أما إذا كان مقصرًا في عدم تكرار التلاوة دون عذر فليس ممن يقرأ القرآن وهو يشتد عليه ولا يُشمل بهذا الحديث بل بالأحاديث السالفة (٢٢ و٢٣ و٢٤).

وهنا التفاتة ينبغي الوقوف عندها وهي أن عدل الله اقتضى المساواة بين الناس من عرب وغير العرب. وحيث أن القرآن نزل بلسان العرب فإن تلاوة العرب للقرآن أيسر وفهمهم للقرآن أقرب والاستفادة منه أسهل لذلك فإن عدالة الله اقتضت أن يعطى غير العربي امتيازًا بأن خطأه في اللفظ مغفور وتكبده مشاق التلاوة والتعلم والحفظ الاضافية، كل ذلك مجازىً عليه بأجر إضافي ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾[الزلزلة: ٧-٨].

ومن جهة أخرى فإن من سهلت عليه التلاوة فتلك نعمة أنعمها الله تعالى عليه ينبغي عليه شكرها ومن كان فهم القرآن عليه سهلاً ميسورًا ترتبت على ذلك نعمة يجب عليه شكرها أيضا وليس أبلغ من شكر هذه النعمة من العمل بما فهَّمه الله تعالى وازدياد خشية الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾[فاطر: ٢٨].

٤٩- عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال قال، رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إقرأ علي» قلت أقرأ عليك وعليك نزل؟ قال: «إني أشتهي أن أسمعه من غيري». قال فقرأت النساء حتى إذا بلغت ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ

مات سنة ١٥٧هـ وقبره معروف في بيروت.

وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾[النساء: ٤١] قال لي «كف» أو «أمسك» فإذا عيناه تذرفان. متفق عليه.

يستدل من هذا الحديث استحباب سماع القرآن من الغير بشرط الإنصات والتدبر قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٠٤] وقال: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾[النساء: ٨٢].

والبكاء لقراءة القرآن سنة وهو نتيجة لتدبر القرآن وخشية الله. قال تعالى: ﴿كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾[الزُّمَر: ٢٣] وفي الحديث الشريف: «عينان لا تمسهما النار: عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس في سبيل الله»[(١)].

قال أبو سعيد الخراز[(٢)]: إذا كان العبد مجموعًا على الله تعالى لا ينصرف منه جارحة إلى غير الله عز وجل فعندها تقع له حقائق الفهم عند تلاوة كتاب الله عز وجل (الذي ليس مع الخلق). أي أن العبد إذا ركز فكره وجميع حواسه في فهم كلام الله تعالى أعطاه الله فهمًا أصيلاً لكلامه خاصًا به دون غيره من الناس.

٥٠- عن سعد بن أبي وقاص[(٣)] رضي الله عنه قال، قال رسول الله صلى الله

---

(١) رواه أبو يعلي وأشر له السيوطي بالصحة في الجامع الصغير ورواه الترمذي بلفظ مختلف.

(٢) مرت ترجمته في الهامش ٣ الباب الرابع.

(٣) هو سعد بن مالك بن أهيب الزهري أحد العشرة المبشرين بالجنة كان أول من رمى بسهم في سبيل الله وأحد الستة الشورى بعد وفاة عمر. كان مستجاب الدعوة وكان قائد فتح العراق

عليه وآله وسلم: «أتلُوا القرآن وابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا» **أخرجه ابن ماجه بإسناد جيد.**

قال صالح المرسي قرأت القرآن على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في المنام فقال لي يا صالح هذه القراءة فأين البكاء؟ وقال ابن عباس رضي الله عنهما: إذا قرأتم سجدة سبحان[1] فلا تستعجلوا بالسجود فإن لم تبك عين أحدكم فليبك قلبه.

وعن الحسن البصري أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يمر بالآية من ورده فتخنقه فيبقى في البيت أيامًا يعاد يحسبونه مريضًا.

وكان أبو الدرداء إذا سمع المتهجدين بالقرآن يقول بأبي النواحين على أنفسهم قبل يوم القيامة وتندى قلوبهم بذكر الله أو لذكر الله عز وجل، يعني أفديهم بأبي وأطلق على من يتهجد بالقرآن ليلاً اسم النواحين على أنفسهم لغلبة البكاء عليهم عند قراءة القرآن في صلاتهم.

والتباكي هو التحزن عند التلاوة والخشوع وتركيز الفكر واستجلاب خشية الله تعظيمًا لكتابه وكلامه وهذا إذا لم يكن هناك بكاء طبيعي للقارئ دون تكلف منه ويفسر هذا الحديث في التباكي الحديث التالي.

٥١- عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إن من أحسن الناس صوتًا بالقرآن الذي إذا سَمِعتموه يقرأ حسبتموه يخشى

ومات سنة ٥٥ هـ.

(١) السجدة في آخر سورة الإسراء.

الله» **رواه ابن ماجة**[1].

كان عكرمة بن أبي جهل[2] رضي الله عنه إذا نشر المصحف غشي عليه وهو يقول هو كلام ربي هو كلام ربي هو كلام ربي. وقال عثمان وحذيفة رضي الله عنهما لو طُهرت القلوب لم تشبع من قراءة القرآن. وقيل ليوسف بن اسباط[3] إذا قرأت القرآن بماذا تدعو؟ قال بماذا أدعو؟ أستغفر الله عز وجل من تقصيري سبعين مرة. فإذا رأى العبد نفسه بصورة التقصير في القراءة كانت رؤيته تلك سبب قربه من الله عز وجل. وقال ثابت البناني[4]: كابدت القرآن عشرين سنة وتنعمت به عشرين سنة.

يقول الإمام الغزالي[5] رضي الله عنه في أحياء علوم الدين: درجات القراءة ثلاث أدناها أن يُقَدِّر العبد كأنه يقرؤه على الله عز وجل واقفًا بين يديه وهو ناظر إليه ومستمع منه فيكون حاله عند هذا التقدير السؤال والتملق والتضرع والابتهال، الثانية أن يشهد بقلبه كأن الله عز وجل يراه ويخاطبه بألطافه ويناجيه بانعامه وإحسانه فمقامه الحياء والتعظيم والإصغاء والفهم، الثالثة أن يرى في الكلام المتكلم وفي الكلمات الصفات فلا ينظر إلى نفسه ولا إلى قراءته ولا إلى تعلق الأنعام به من حيث أنه منعم عليه بل يكون مقصورًا على المتكلم موقوف الفكر عليه كأنه مستغرق بمشاهدة

(١) إسناده صحيح.

(٢) أسلم عكرمة عام الفتح وقاتل المرتدين في زمن أبي بكر نادى في معركة اليرموك من يبايع على الموت فبايعه ٤٠٠ من المسلمين فقتلوا كلهم إلاّ ضرار بن الأزور وذلك سنة ١٥ هـ.

(٣) يوسف بن أسباط من أتقياء اتباع التابعين وزهادهم توفي بعد سنة ١٩٠ هـ.

(٤) ثابت بن أسلم البناني تابعي ثقة عابد توفي سنة بضع وعشرين ومائة.

(٥) حجة الإسلام الإمام محمد بن محمد الغزالي ولد بطوس عام ٤٥٠هـ ودرس ببغداد ثم رحل إلى الحج ثم الشام وتوفي بطوس عام ٥٠٥ هـ. له مصنفات كثيرة أشهرها كتاب إحياء علوم الدين الذي ربما كان أفضل كتاب استفاد منه المسلمون بعد كتاب الله وكتب الحديث.

المتكلم عن غيره وهذه درجة المقربين وما قبله درجة أصحاب اليمين وما خرج عن ذلك درجة الغافلين.

وعن الدرجة العليا أخبر الإمام جعفر الصادق بن محمد الباقر[1] رضي الله عنهما قال والله لقد تجلى الله عز وجل لخلقه في كلامه ولكنهم لا يبصرون وقال أيضا وقد سألوه عن حالٍ لحقته في الصلاة حتى خر مغشيا عليه فلما سُرِّي عنه قيل له في ذلك فقال: ما زلت أردد الآية على قلبي حتى سمعتها من المتكلم بها فلم يثبت جسمي لمعاينة قدرته.

(١) هو جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب فقيه جليل وإمام صدوق وهو من أتباع التابعين توفي سنة ١٤٨ هـ.

الباب السادس

أوراد القرآن وختمه

٥٢- عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من نام عن حزبه أو عن شيء منه فقرأه فيما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر كُتِب له كأنما قرأه من الليل» رواه مسلم.

يقصد بالورد تلاوة القرآن التي يعتاد عليها المرء سواء في صلاة أو خارج الصلاة وهو (كما يظهر من الحديث الشريف هذا) في الليل أفضل منه في النهار لغفلة الناس ونومهم وسكونهم فمن عمل عملاً بين غافلين كان أفضل ممن عمله بين من يفعل فعله. كما أن القراءة في الليل أبعد عن الرياء والسمعة.

الأوراد ترفع من مكانة العبد عند الله تعالى وتصفي قلبه وتهيئه لكي يستقبل بركات الله والإفادة من تجلياته عز وجل. وتزداد تلك البركات في جوف الليل لكن من نعم الله تعالى أن من طرأ له طارئ يمنعه من تنفيذ ذلك الورد أحد الأيام فاستدركه في صباح اليوم التالي بين صلاة الفجر وصلاة الظهر كان كأنما قرأه في جوف الليل.

لقد رفع الله عن المسلمين الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه[1]: ﴿لَا يُكَلِّفُ

---

(١) من حديث رواه الطبراني عن ثوبان وأشار له السيوطي بالصحة في الجامع الصغير.

ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَا ﴾[البقرة: ٢٨٦] وما جعل الله على المسلمين في الدين من حرج، فالورد هو ما أجبر العبد نفسه على الإتيان به من غير فريضة من الله تعالى سواء كان صلاة أو قراءة أو دعاء وذلك يزيد من رفعة المرء ومكانته عند الله وهذه الأوراد تكون فيما يطيق الإنسان ولا تتعارض مع سنن الله تعالى التي فطر الناس عليها. فإن عارضت سنة من سنن الفطرة أصبحت رهبانية تملها النفس وإن الله لا يمل حتى يمل الإنسان.

إن من نعم الله تعالى على الأمة المحمدية أن يكتب لهم ما اعتادوا عليه إن طرأ لهم طارئ من سفر أو مرض مثل ما يفعلون في تمام صحتهم وإقامتهم ويزيد ثواب المرض والسفر لقاء ما يجدون من مشاق والآم وثواب ما يصبون عليه.

٥٣- عن أوس بن حذيفة[1] رضي الله عنه قال كنت في الوفد الذين أتوا على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فذكر حديثًا أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يسهر معهم بعد العشاء فمكث عنا ليلة لم يأتنا حتى طال ذلك علينا بعد العشاء قال قلنا ما امكثك عنا يا رسول الله؟ قال: «طرأ عليّ حزب من القرآن فأردت أن لا أخرج حتى أقضيه». قال فسألنا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين أصبحنا قال قلنا كيف تحزبون القرآن؟ قالوا نحزبه ثلاث سور وخمس سور وسبع سور وتسع سور وإحدى عشرة سورة وثلاث عشرة سورة وحزب المفصل من (ق) حتى يختم. **رواه أبو داؤد وابن ماجه بإسناد حسن.**

يؤخذ من هذا الحديث حرص رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على إكمال

(١) أوس بن حذيفة بن ربيعة هو والد عمرو بن أوس وَجَدُّ عثمان بن عبد الله بن أوس من علماء التابعين. توفي سنة ٥٩ هـ.

ورده اليومي حتى يقدِّمه على خروجه على قوم حديثي عهد بالإسلام قدموا المدينة كي يعلمهم دينهم. ورب قائل أليس اشتغال العلماء بالعلم ودراسته وتعليمه أفضل من العبادة؟ وتلاوة القرآن؟ والجواب على ذلك أن العلم لا يفيد بنفسه وبقوة حجة حامله فحسب بل بما يضع الله تعالى في قلب قائله وعلى لسانه من تقوى وما يفيض بواسطته من بركات. وهذه لا طريق لها إلا المزيد من خشية الله وعبادته وتلاوة القرآن. فهذا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم تلهه أعباء الرسالة السماوية وإبلاغها (وما أثقل ذلك) عن الالتزام بالأوراد وتلاوة القرآن وصلاة الليل حتى تورمت قدماه وحين يسأل عن ذلك يقول «أفلا أكون عبدا شكورا»[(١)].

الأحزاب التي ذكرت في الشطر الثاني من الحديث والتي كان يدوام عليها عامة صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هي في اليوم الأول من البقرة إلى النساء أي ثلاث سور وفي اليوم الثاني خمس سور من المائدة إلى التوبة وفي اليوم الثالث سبع سور من بداية يونس حتى نهاية النحل وفي اليوم الرابع تسع سور من بداية الإسراء حتى نهاية الفرقان وفي اليوم الخامس من بداية الشعراء حتى نهاية يس وفي اليوم السادس من بداية الصافات حتى نهاية الحجرات وفي اليوم السابع من سورة ق حتى نهاية المصحف. وربما اختلف ذلك بعض الشيء من صحابي لآخر فقد روي عن عثمان بن عفان أنه كان يفتتح ليلة الجمعة بالبقرة إلى المائدة وليلة السبت بالأنعام إلى هود وليلة الأحد بيوسف إلى مريم وليلة الإثنين بطه حتى القصص وليلة الثلاثاء بالعنكبوت إلى ص وليلة الأربعاء بالزمر إلى الرحمن ويختم ليلة الخميس.

ويتضح من ذلك حرص كثير من الصحابة رضوان الله عليهم على ختم القرآن كل أسبوع.

---

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه وعند مسلم مختصرًا عن عائشة رضي الله عنها.

٥٤- عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إقرأ القرآن في شهر» قلت إني لأجد قوة حتى قال: «إقرأه في سبع ولا تزد على ذلك» **متفق عليه**.

كان أول أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعبد الله بن عمرو مرة كل شهر. إلا أنه وجد إمكانية لأكثر من ذلك فزاده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى مرة في الأسبوع وقد استمر رضي الله عنه في تطبيق وصية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بشكل حريص حتى قيل أنه ندم في آخر عمره حينما ضعفت قواه انه لم يقبل أمر رسول الله الأول وفي الوقت نفسه كره أن يترك أمرًا أمره رسول الله به وهو ختم القرآن مرة كل أسبوع. وهكذا كان حرص الصحابة على كثرة تلاوة القرآن والتسابق في ذلك، قال تعالى ﴿فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾[البقرة: ١٤٨].

كما يتضح من الحديث أن تعليم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأصحابه كان وفق ما يطيقونه وما يعرفه منهم من قابلية على التنفيذ والالتزام فهو شيخهم ومربيهم ومعلمهم وما كان يأمر به صحابيًا ما كان ليأمر به صحابيا آخر. ويبدو من أمره الأول بالختم كل شهر هو ما يجب أن يأخذ به عامة المسلمين وأن الختم في سبع هو لمن يطيق ذلك أفضل وسنأتي على تفصيل أكثر من ذلك فيما بعد.

٥٥- عن عبد الله بن عمرو قال، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من قرأ القرآن في أقل من ثلاث لم يفقهه» **رواه أبو داؤد والترمذي وقال حسن صحيح**.

يشير هذا الحديث إلى كراهة الاستعجال بالقراءة إلى حد يخرجها عن التلاوة السليمة ومن ثم محاولة ختم القرآن بسرعة. وليس في الحديث ما يشير إلى تحريم

التلاوة في أقل من ثلاثة أيام بل إلى الإشارة إلى من يتلوه في أقل من ثلاث على الدوام ولا يهتم بالفهم بل جلّ اهتمامه كثرة الختم فحسب.

وقد سئل الإمام مالك رضي الله عنه عن رجل يختم القرآن كل ليلة فقال ما أحسن هذا، القرآن إمام كل خير. وروي عن عثمان رضي الله عنه أنه كان يختمه في ليلة ولعل ذلك أحيانًا حيث سبق وأن بيّنّا أن ورده كان ختمة كل أسبوع كما روي عن سعيد بن جبير(١) رضي الله عنه أنه قال قرأت القرآن في ركعة في البيت يعني الكعبة. وقد أدركنا بعض السلف الصالح رضوان الله عليهم ممن يختم القرآن في يوم واحد وربما بدأ بختمة أخرى بحيث يختم مرة في الليل ومرة في النهار وهذا ليس على الدوام بالطبع ولكن في بعض أيام رمضان عند الاعتكاف أو بين آونة وأخرى وعامة ختمهم بين الثلاثة أيام والسبعة.

وذكر الإمام أحمد بن حنبل في كتاب الزهد قال دخلت على كرز فإذا عنده مصلاة قد ملأها تبنًا وبسط عليها كساءً من طول القيام وكان يقرأ القرآن في اليوم والليل ثلاث مرات وكان كرز إذا خرج أمر بالمعروف فيضربونه حتى يغشى عليه. وقال بعض العارفين: لي في كل جمعة ختمة وفي كل شهر ختمة وفي كل سنة ختمة ولي ختمة منذ ثلاثين سنة ما فرغت منها بعد وذلك بحسب تدبره أثناء التلاوة.

وسيمر بنا أن الدعاء عند ختم القرآن مستجاب. لذلك فإن حضور دعاء ختم القرآن والتأمين عليه أمر حسن. كما أن التعاون على ختم القرآن بحيث يقرأ كل شخص قسمًا من القرآن ثم دعاء الختم مجتمعين تلك سنة حسنة فالقرآن خير ما يؤلف القلوب ويقربها من بعضها ولن يبخل الله بالعطاء الجزيل على من ساهم في

---

(١) سيد التابعين كان يختم القرآن فيما بين المغرب والعشاء في رمضان. كان آخر من قتله الحجاج عام ٩٥هـ حيث دعا قبل قتله: اللهم لا تسلط الحجاج على أحد بعدي فعاش بعده ١٥ ليلة.

ختم القرآن وحضر الدعاء وأمَّنَ عليه.

٥٦- عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه قال كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم أجود الناس بالخير وأجود ما يكون في رمضان لأن جبريل كان يلقاه في كل ليلة في شهر رمضان حتى يَنْسَلِخَ يعرض عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم القرآن فإذا لقيه جبريل كان أجود بالخير من الريح المرسلة. متفق عليه.

كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يراجع القرآن أي يتلوه على جبريل في ليالي رمضان فتسمو روحه وبذا يجود بالخير إن كان المقصود بالخير جودًا ما مثله جود والجود بالخير إن كان المقصود بالخير المال فقد كان يقسم الصدقات الكثيرة التي تأتيه وما يحب أن يأتيه وعنده شيء حتى ينسى أحيانًا إن يترك شيئًا لأهله وقد سمى الله تعالى المال خيرًا بقوله على لسان موسى عليه السلام: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾[القصص: ٢٤] وإن كان الخير هو العمل الصالح فجهاد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في رمضان كان مثالاً لذلك وكان ينصح الصائم إن سابه أحد أو شاتمه أن يقول إني صائم(١) وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عامة وقته سهلاً إذا باع سهلاً إذا اشترى سهلاً إذا قضا سهلاً إذا اقتضى. وإن كان الخير هو القول الحسن فقد كان خلقه القرآن صلى الله عليه وآله وسلم(٢) والعمل الصالح يتضاعف في رمضان: النافلة كالفريضة والفريضة إلى سبعمائة ضعف والله يضاعف لمن يشاء والله ذو الفضل العظيم وأفضل تعاهد القرآن هو تعاهده في رمضان.

(١) الحديث: إذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يجهل فإن امرؤ شاتمه أو قاتله فليقل إني صائم رواه البخاري ومسلم وأبو داؤد وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) حديث كان خلقه القرآن رواه مسلم وأبو داؤد عن عائشة رضي الله عنها.

فرمضان هو شهر القرآن: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾[البقرة: ١٨٥].

فقد كرَّم الله رمضان بنزول القرآن ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾[القدر: ١-٣].

٥٧- عن عائشة رضي الله عنها: أسَرَّ إلي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إن جبريل كان يعارضني بالقرآن كل سنة وأنَّه عارضني العام مرتين ولا أراه إلا حضر أجلي» رواه البخاري.

قال الإمام أبو حنيفة[1] رضي الله عنه من قرأ القرآن في كل سنة مرتين فقد أدى حقه لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم عرض على جبريل في السنة التي قبض فيها القرآن مرتين.

وقال غيره يكره تأخير ختمه أكثر من أربعين يومًا بلا عذر نص على ذلك الإمام أحمد بن حنبل لأن عبد الله بن عمر سأل النبي صلى الله عليه وآله وسلم في كم نختم القرآن؟ قال «في أربعين يوماً»[2].

قال الإمام الغزالي رضي الله عنه في كتاب إحياء علوم الدين: في الختم أربع درجات: الختم في يوم وليلة وقد كرهه جماعة والختم في كل شهر كل يوم جزءًا من ثلاثين جزءًا وكأنه مبالغة في الاقتصار كما أن الأول مبالغة في الاستكثار وبينهما

(١) الإمام النعمان بن ثابت أحد الأئمة الأربعة المجتهدين إمام في الفقه زاهد عابد توفي سنة ١٥٠هـ.

(٢) رواه أبو داؤد.

درجتان معتدلتان: إحداهما في الأسبوع مرة والثانية في الأسبوع مرتين تقريبًا من الثلاثة والأحب أن يختم ختمة بالليل وختمة بالنهار ويجعل ختمه بالنهار يوم الإثنين في ركعتي الفجر أو بعدهما ويجعل ختمه بالليل ليلة الجمعة في ركعتي المغرب أو بعدهما ليستقبل أول النهار وأول الليل بختمة فإن الملائكة عليهم السلام تصلي عليه إن كانت ختمته ليلاً حتى يصبح وإن كان نهارًا حتى يمسي فتشمل بركتهما جميع النهار والليل. والتفصيل في مقدار القراءة إن كان من العابدين السالكين طريق العمل فلا ينبغي أن ينقص عن ختمتين في الأسبوع وإن كان من السالكين بأعمال القلب وضروب الفكر أو المشتغلين بنشر العلم فلا بأس أن يقتصر في الأسبوع على مرة وإن كان نافذ الفكر في معاني القرآن فقد يكتفي في الشهر بمرة لكثر حاجته إلى كثرة الترديد والتأمل.

٥٨- عن العرباض بن سارية[1] رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «من ختم القرآن فله دعوة مستجابة» **رواه الطبراني**[2].

قال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾ [غافر: ٦٠] وقال صلى الله عليه وآله وسلم: الدعاء هو العبادة[3] وقد اختص الله تعالى أوقاتًا معينة بالدعوة المستجابة كالثلث الأخير من الليل ووقت نزول المطر وساعة من يوم الجمعة وعند ختم القرآن كما اختص ناسًا معينين بالدعوة المستجابة كالإمام العادل بين رعيته

(١) العرباض بن سارية السلمي كان من أهل الصفة سكن الشام ومات بها سنة ٧٥ هـ.

(٢) الحديث فيه ضعف ولكن يعضده أحاديث أخرى في هذا الباب: لحامل القرآن دعوة مستجابة وإن لقارئ القرآن دعوة مستجابة، فإن شاء صاحبها تعجلها في الدنيا، وإن شاء أخرها إلى الآخرة وهذه الأحاديث يعضد بعضها بعضًا في استحباب الدعوة بعد ختم القرآن أو تلاوته.

(٣) رواه أبو داؤد والترمذي والنسائي وابن ماجه وأحمد والحاكم عن النعمان بن بشير.

والمظلوم إن دعى على من ظلمه والنبي لأمته.

وللدعاء شروط منها عدم الدعاء بالويل والثبور على المسلمين وقطيعة الرحم وأن يدعو وهو موقن بالإجابة وأن يدعو بذلّ وانكسار وأن يلح في الدعاء وأن لا يكون ساعة الدعاء متلبسًا بمعصية كأن يكون جوفه ممتلئًا بالحرام أو كان لباسه من حرام أو في أرض مغصوبة بظلم أو أن يقول أو أن ينظر إلى ما حرم الله أو أن يكون دعاءه متضمنًا معصية لله. وبالجملة فإن من يدعو ربه عليه أن يكون تائبًا منيبًا إليه متوجهًا نحوه بصدق وإخلاص له وحده من غير شريك تاركًا للمعاصي والذنوب مجتنبًا للرياء والسمعة والعجب.

وقد كان أنس بن مالك إذا ختم القرآن جمع أهله[١] (لكي يؤمِّنوا على دعائه)

والدعاء عند ختم القرآن مثله مثل إعطاء أجر العامل أجرته عند إكمال عمله، فمن أتم عمله في التلاوة من ترتيل وتفكر وعمل جهده أن تكون تلاوته صحيحة خالصة لوجه الله تعالى فقد استحق الأجرة كاملة باستجابة دعائه كاملاً ومن أنقص من ذلك شيئًا فلله الحكم إن شاء أعطاه وإن شاء أجلّه بثواب يوم القيامة أو إصلاح في أمر دنياه وإن شاء منعه وهو أحكم الحاكمين.

٥٩- كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول عند ختم القرآن: «اللهم ارحمني بالقرآن واجعله لي إمامًا وهدىً ورحمة. اللهم ذكّرني منه ما نُسّيت وعلمني منه ما جهلت وارزقني تلاوته آناء الليل وأطراف النهار واجعله لي حجة يا رب العالمين» **رواه الأرجاني وأبو بكر بن الضحاك من رواية داؤد بن قيس**[٢].

---

(١) ذكره النووي في الأذكار عن أبي داؤد والدارمي والطبراني ورجاله ثقات.

(٢) حديث معضل: وهو الحديث الذي سقط من سنده راويان أو أكثر بشرط أن يكونا متوالين

وقد سبق الدعاء المأثور الذي علمه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليًا بن أبي طالب رضي الله عنه في الحديث ٢٤. وليس تحديد الدعاء عند ختم القرآن حتم واجب بل إن أي دعاء من الأدعية المأثورة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أو ما يصلح من دعاء لإصلاح أمر المرء في دينه ودنياه فهو حسن.

وهو أقل درجة من المنقطع وهو الذي سقط منه راوٍ واحد أو المرسل وهو الذي سقط منه الصحابي.

الباب السابع

القرآن في الصلاة

٦٠- عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أي الصلاة أفضل؟ فقال: «طول القنوت» رواه مسلم.

طول القنوت أي طول القيام في الصلاة وأفضل القيام في صلاة الليل. لقد اختص الله بعض الأماكن كالبيت الحرام والمسجد النبوي واختص بعض الأفراد باختصاصات من عنده كالأنبياء وأولياء الله الصالحين واختص بعض الأوقات باختصاصات من عنده كإجابة الدعاء واختص دعوات في أوقات معينة تختلف في فضلها عن أوقات أخر. وما كان أفضل التلاوة في أوقات معينة يختلف في أوقات آخر. لذلك اختلفت الصلوات في طولها وفي أفضل ما يقرأ فيها من سور ومع أن تلاوة أي سورة من القرآن جائز في أي صلاة من الصلوات إلاّ أن الله اختص سورًا معينة بثواب أعظم وإجابة دعوات أسرع والله أعلم.

٦١- عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال صليت مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليلة فلم يزل قائمًا حتى هممت بأمر سوء قلنا وما هممت قال هممت أن أقعد وأذر النبي صلى الله عليه وآله وسلم. رواه البخاري.

كان صلى الله عليه وآله وسلم يطيل القيام في صلاة الليل حتى تورمت قدماه

فلما سئل عن ذلك قال: «أفلا أكون عبدًا شكورًا»[1]. وقال تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ [المزَّمل: ١-٤] وكان قيام الليل أول بدء دعوته صلى الله عليه وآله وسلم فريضة ثم خفف الله ذلك عن المسلمين بقوله ﴿فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ [المزَّمل: ٢٠] وذلك أسلوب تربوي رائع في تربية الجيل الأول من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم على تكبد مشاق العبادة في وقت هم أحوج ما يكونون فيه على الصبر في سبيل الله تجاه أذى الكفار ولا يرفع من قواهم سوى إيمانهم الذين عليهم أن يدافعوا به عن دينهم وعقيدتهم.

٦٢- عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: صليت مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم فافتتح البقرة فقلت يركع عند المائة ثم مضى فقلت يصلي بها في ركعة فمضى فقلت يركع بها ثم افتتح النساء فقرأها ثم افتتح آل عمران فقرأها يقرأ مترسلاً إذا مر بآية تسبيح سبح وإذا مر بسؤال سأل وإذا مر بتعوذ تعوذ ثم ركع فجعل يقول سبحان ربي العظيم فكان كل ركوعه نحوًا من قيامه ثم قال سمع الله لمن حمده ربنا لك الحمد ثم قام طويلاً قريبًا مما ركع ثم سجد فقال سبحان ربي الأعلى فكان سجوده قريبًا من قيامه. رواه مسلم.

قال أبو ذر الغفاري[2] رضي الله عنه إن كثرة السجود بالنهار أفضل وإن طول القيام بالليل أفضل وهذه الصلاة رغم عدم ذكرها صراحة كانت صلاة الليل.

---

(١) الهامش ٢ في الحديث ٥٣.

(٢) هو جندب بن جنادة من بني غفار كان من أوائل من أسلم حين قدم على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمكة ثم عاد إلى أهله. كان زاهدًا ورعًا قال عنه صلى الله عليه وآله وسلم: ما أقلت الغبراء ولا أظلت الخضراء أصدق لهجة من أبي ذر ـ أخرجه أبو داؤد وأحمد عن عبد الله بن عمر ـ توفي بالربذة عام ٣١ هـ.

٦٣- عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال: قام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فينا ليلة بآية يرددها وهي ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[المائدة: ١١٨]. **أخرجه النسائي وابن ماجه بسند صحيح.**

قال الله تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩] فإن التدبر والتفكر والتذكر لا حصول له إلا بحضور القلب لقول الله عز وجل ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾[ق: ٣٧] يعني حاضر القلب.

وقام تميم الداري[1] ليلة بآية ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾[الجاثية: ٢١] وقام سعيد بن جبير رضي الله عنه ليلة يردد الآية ﴿وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ﴾[يس: ٥٩].

وفي سنن أبي داؤد أن رسول الله ﷺ قال: «من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين ومن قام بمائة آية كتب من القانتين ومن قام بألف آية كتب من المقنطرين»[2] إلا أن القيام يجب أن يكون بنشاط وحضور فقد ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال:«إذا قام أحدكم من الليل، فاستعجم القرآن على لسانه، فلم يدر ما يقول فليضطجع»[3] استعجم أي استغلق ولم ينطلق به لسانه

(١) تميم بن أوس بن خارجة الداري صحابي مشهور. سكن بيت المقدس بعد مقتل عثمان. توفي سنة ٤٠ هـ.

(٢) وصححه الألباني.

(٣) رواه مسلم.

لغلبة النعاس.

٦٤- عن أبي برزة [١] رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يقرأ في صلاة الغداة من الستين إلى المائة. **رواه مسلم**.

صلاة الغداة هي صلاة الفجر أي كان يقرأ بين ستين آية إلى مائة آية فيها. وقرأ عمر بن الخطاب رضي الله عنه في صلاة الفجر بسورة النحل ثم بسورة يوسف. وبذلك فإن طول القراءة في صلاة الفجر مأثور عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعن أصحابه وقد قال الله تعالى: ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء: ٧٨].

٦٥- عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال:كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقرأ في الجمعة، في صلاة الفجر: ﴿الٓمٓ تَنزِيلُ﴾ و﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ﴾. **رواه البخاري**.

كما صح عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قرأ في صلاة العيد بسورتي ق والقمر[٢].

٦٦- صلى أنس بن مالك رضي الله عنه الظهر فلما فرغ قال أني صليت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صلاة الظهر فقرأ لنا بهاتين السورتين في الركعتين بسبح اسم ربك الأعلى وهل أتاك حديث الغاشية. **الوادعي في الصحيح المسند**[٣].

(١) هو نضلة بن عبيد الأسلمي.

(٢) رواه مسلم عن أبي قتادة.

(٣) إسناده صحيح.

وقد صح أنه كان يقرأ في العصر وفي العيدين بهما أيضاً.

هاتان السورتان من أواسط المفصل وهذا ما يناسب صلاة الظهر من انشغال الناس بالكسب والعمل فلا يسن التطويل.

٦٧- عن سليمان بن يسار[١] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال ما صليت وراء أحد أشبه صلاة برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من فلان[٢] قال سليمان: كان يطيل الركعتين من الظهر ويخفف الأخريين ويخفف العصر ويقرأ في المغرب بقصار المفصل ويقرأ في العشاء بوسط المفصل في الصبح بطوال المفصل. رواه النسائي[٣].

المفصل هو آخر القرآن من سورة ق إلى سورة الناس. وعلى ذلك كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقرأ في ركعتي الفجر السور الطوال من المفصل لكونها أول النهار والإنسان بحاجة إلى غذاء روحي كما هو بحاجة إلى غذاء مادي. فطول القيام استحضار لعظمة الله تعالى ومخالفة لأهل الباطل والغفلة. وقد ورد أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قرأ بسورة ق[٤] في الفجر وهذا لا يعني أنه لم يقرأ أحيانًا في الفجر بسور قصيرة. فقد ثبت أنه قرأ بسورة الزلزلة في الفجر[٥]. أما القراءة في الظهر والعصر فقراءته بين المتوسطة والقصيرة للسماح للناس في مزاولة الكسب والعمل ابتغاء فضل الله تعالى.

---

(١) سليمان بن يسار الهلالي المدني مولى ميمونة وقيل أم سلمة وهو أحد فقهاء المدينة السبعة من علماء التابعين وفضلاتهم مات بعد سنة مائة هـ.

(٢) كان عمر بن عبد العزيز أشبه الناس في زمانه صلاة برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

(٣) إسناده صحيح وهو على شرط مسلم.

(٤) رواه مسلم.

(٥) رواه الترمذي بسند حسن.

أما القراءة في المغرب فقصيرة لقصر وقت المغرب. وفي العشاء تكون القراءة بين القصيرة والمتوسطة لكونها خاتمة الصلاة وقبل وقت النوم والراحة فقد ثبت أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قرأ بسورة التين في صلاة العشاء[1]. فإن قام الرجل الليل بعد نوم كاف كان قيامه طويلاً وقت غفلة أكثر الناس افتراقًا عنهم فالذاكر وقت غفلة الناس ثوابه عظيم والذاكر بين الغافلين مكانته عظيمة. أما باقي النوافل والسنن فالقراءة فيها بصورة عامة بين المتوسطة والقصيرة.

٦٨- عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال، رَمَقْتُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عشرين مرة يقرأ بعد المغرب وفي الركعتين قبل الفجر قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد. رواه النسائي والترمذي عن ابن عباس وقال حديث حسن.

وكان صلى الله عليه وآله وسلم يقرأ بركعتي الوتر قبل الأخيرة بسبح اسم ربك الأعلى وقل يا أيها الكافرون وفي الركعة الأخيرة من الوتر بسورة قل هو الله أحد وقل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس وبذلك عمل الشافعي ومالك. أما أبو حنيفة وأحمد فاستحبا قراءة قل هو الله أحد في الركعة الأخيرة من الوتر وحدها.

٦٩- عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال كان معاذ بن جبل رضي الله عنه يصلي بالناس فقرأ البقرة فخرج رجل من الصلاة وأتم لنفسه فقالوا نافق الرجل فتشاكيا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فزجر رسول الله معاذًا فقال: «أفتان أنت يا معاذ. إقرأ سورة سبح والشمس وضحاها» متفق عليه.

يسن أن تكون صلاة الجماعة بما يستطيعه أضعف الناس بين الجماعة فليس لله

---

(١) رواه البخاري.

حاجة في إيذاء الضعفاء أو ملل المصلين من طول القيام قسرًا ما دام فرض الصلاة يتم حتى بآيات قلائل. وليس ذلك فحسب، بل إن السنة النبوية تقرر فضل الصلاة الجماعة القصيرة على الطويلة مخافة الملل والسأم والضعف من قبل واحد أو أكثر من المصلين. وهذا يتفق مع تحديد وفعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ففعله قد حدد حدودًا لطول وقصر الآيات والسور المحبذ الالتزام بها في الصلوات ومع ذلك فإن الميل إلى التقليل هو سنة مؤكدة متى خيف السأم والضعف.

ومعاتبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لمعاذ تعليم له ولمن يتقدم لإمامة المسلمين بمراعاة الضعفاء من الأتباع والرعية دون إفراط أو تفريط ولا شطط ولا مغالاة. أما من أراد طول القيام ففي صلاة الليل سعة وأبعد عن الرياء وعن إيذاء الضعفاء من الناس ومن أحب طول القيام فليصل ذلك وحده فيما عدا الفريضة التي تكون أفضل ما هي عليه جماعة.

٧٠- عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقرأ علينا السورة فيها السجدة فيسجد ونسجد حتى ما يجد أحدنا موضع جبهته. رواه البخاري.

سجود التلاوة سنة في أربعة عشر أو خمسة عشر (السجدة الثانية في سورة الحج مختلف فيها) موضعًا من القرآن الكريم ويسن السجود بعد تلاوة آيات السجود مباشرة والحديث يدل على تكرار ذلك من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأن ذلك كان يتم أثناء تعليمه صلى الله عليه وآله وسلم وتدريسه القرآن للصحابة الكرام وهم حوله مزدحمين حتى كان يسجد أحدهم على ظهر الآخر لعدم توفر أماكن لوضع الجبهة على الأرض وآيات السجود تحث على السجود بمدحها إياهم وتذم الكفار لامتناعهم عن السجود لله تعالى. مثل الأولى: ﴿إِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ يَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ

سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴾[الإسراء: ١٠٧-١٠٨]. ومثال الثانية: ﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ۩ ﴾[الانشقاق: ٢١].

٧١- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو على المنبر سورة ص فلما بلغ السجدة نزل فسجد وسجد الناس معه فلما كان يوم آخر قرأها فبلغ السجدة تَشَزَّنَ(١) الناس للسجود فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إنما هي توبة نبي ولكني رأيتكم تشزنتم للسجود» فنزل وسجد وسجدوا. رواه أبو داؤد(٢).

ربما دل الحديث على أن السجود في سورة ص غير مؤكد أو أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أراد أن يشير إلى أن السجود كله في القرآن هو سنة ولا بأس بتركه أحيانًا لكن السجود بصورة عامة هو أفضل وذو ثواب عظيم. كما أن نزوله عندما رأى الناس قد تهيؤوا للسجود دليل على مراعاة القائد لشعور من يتبعه بحيث لا يريد ان يخالفهم في ما هموا بفعله من أعمال الخير.

---

(١) أي تهيأوا واستعدوا.

(٢) إسناده صحيح وهو على شرط البخاري.

الباب الثامن

فضائل سور محددة

يقول الإمام الشعراني[1] في كتابه لواقح الأنوار القدسية في بيان العهود المحمدية: وقد أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن نواظب على قراءة ما ورد من الآيات والسور كل يوم وليلة كالفاتحة وآية الكرسي وخواتيم سورة البقرة وخواتيم سورة آل عمران وقراءة سورة يس والواقعة والدخان وتبارك ونحو ذلك. والأحاديث في ذلك مشهورة ومن واظب على ذلك كان في حرز وأمان من الآفات الظاهرة والباطنة وأكثر من يخل بهذا العهد طلبة العلم الذين حدثوا في هذا الزمان فلا تكاد تجد لأحدهم وردًا من القرآن ولا من الأذكار وإن كلمهم أحد في ذلك جادلوه وقالوا نحن مشغولون بالعلم وربما جلس أحدهم يلغو ويمزح ويستغيب الناس أضعاف زمن تلك الأوراد ولا يقول لنفسه قط إن الاشتغال بالعلم أفضل أبدًا بل ربما نسي بعضهم القرآن في حجة اشتغاله بالعلم وهو ذنب عظيم كل ذلك لعدم من يربيهم وقد كان السلف الصالح إذا رأوا طالب العلم لا يعتني بالعمل لا يعلمونه العلم.

٧٢- عن أبي سعيد بن المعلّى[2] رضي الله عنه قال: كنت أصلي فدعاني النبي

(١) الإمام عبد الوهاب الشعراني من كبار علماء القرن التاسع الهجري وله مؤلفات كثيرة.

(٢) هو أبو سعيد الحارث بن نفيع بن المعلى الأنصاري توفي سنة ٧٤ هـ.

صلى الله عليه وآله وسلم فلم أُجبه ثم لما انتهيت قلت يا رسول الله كنت أصلي قال: «ألم يقل الله استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكُم» ثم قال: «ألا أعلمك أعظم سورة في القرآن قبل أن تخرج من المسجد؟» فأخذ بيدي فلما أردنا الخروج قلت يا رسول الله إنك قلت لأعلمنك أعظم سورة في القرآن قال: «الحمد لله رب العالمين. هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيتُهُ» رواه البخاري وأبو داؤد.

٧٣- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال بينما جبريل عليه السلام قاعد عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم سمع نقيضًا من فوقه فرفع رأسه فقال هذا باب في السماء فُتح اليوم ولم يُفتح قطُّ إلاّ اليوم فنزل منه مَلَك فقال هذا مَلَك نزل إلى الأرض لم ينزل قطّ إلاّ اليوم فسلَّم وقال أبشر بنورَين أوتيتَهُما لم يُؤتَها نبي قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لن تقرأ بحرف منها إلاّ أُعطيتُه. رواه مسلم.

روى ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «الآيتان من آخر سورة البقرة من قرأهما في ليلة كَفَتَاه»[1] أي يمنعان عنه الأعداء والمصائب: أعداء الإنس والجن ومصائب الآخرة فيبقى في ليلته في حرز أمين قال تعالى: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ١٣٧] وربما يقصد «بكَفَتَاه» عظم أجرهما أو عظم الدعاء الوارد فيهما أو بأن يكون في أمان فإن مات مات على الإيمان. وهكذا قُرِنت خواتيم سورة البقرة وهي ثلاث آيات من قوله تعالى: لِّلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ.. إلى آخر السورة بسورة الفاتحة التي هي السبع المثاني. ويستحب في آخر قراءة هذه الثلاث آيات قول آمين كما في سورة الفاتحة، لأن الدعاء فيها دعاء جليل ففيه الدعاء بعدم المؤاخذة بالخطأ والنسيان وتشبه الفاتحة كذلك في احتوائها الدعاء

(١) رواه الأربعة عن عبد الله بن مسعود.

بعدم سلوك صراط المغضوب عليهم والضالين بقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾[البقرة: ٢٨٦].

٧٤- عن أبي بن كعب[١] رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «يا أبا المنذر أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم» قلت الله ورسوله أعلم قال: «يا أبا المنذر أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟» قال: قلت الله لا إله إلا هو الحي القيوم قال فضرب في صدري وقال: «والله ليهنك[٢] العلم أبا المنذر» رواه مسلم وأبو داؤد.

انظر إلى أدب الصحابي الجليل مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بإجابته أول الأمر: الله ورسوله أعلم، مع علمه بالجواب. وهكذا كان أدب الرجال العظام الذين تأدبوا بآدابه صلى الله عليه وآله وسلم وربّاهم بنفسه فنعم الصحب صحبه ونعم الأدب أدبهم.

٧٥- عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه. إقرأوا الزهراوين البقرة وسورة آل عمران فإنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غَمامَتان أو كأنهما غيابتان أو كأنهما فرقان من طير صَواف تحاجّان عن أصحابهما إقرأوا سورة البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة» رواه مسلم والترمذي.

وقد ورد عن أَبي هريرةَ رضيَ اللَّه عنهُ أَنَّ رسولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم

---

(١) أبي بن كعب الأنصاري سيد القراء كان من أصحاب العقبة الثانية وشهد بدرًا والمشاهد كلها وهو أول من كتب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم مات سنة ٢٠ هـ.

(٢) ليهنك: أي ليهنئك.

قال: «لا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِر، إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْفِرُ مِن الْبَيْتِ الَّذي تُقْرأُ فِيهِ سُورةُ الْبقَرةِ»[1] فسورة البقرة وآل عمرات تحويان الكثير من الحكم والأمثال والعظات فمن حفظهما وأقام حدودهما وائتمر بأوامرهما وانتهى عن نواهيهما كان حقًا على الله أن يشفعهما فيه يوم القيامة لتحاجحان عن صاحبهما فهما بركة لمن يتلوهما وحسرة على من يتركهما يوم القيامة حين يجد ما أعد الله تعالى لمن أوتيهما في هذه الدنيا.

وفي هذا الحديث إشارة إلى أن الله يوفق لمثل هذه الأعمال من يحب، أما من لا يحب فإنه لا يمكنه من حفظهما أو أداء حقهما حتى ولو حاول ذلك ابتغاء غير وجه الله تعالى.

غيابتان من غيابة وهي الظلة أو الغمامة والبطلة أهل الباطل.

وقراءة البقرة حفظ للبيت الذي تقرأ فيه من الشياطين ولمن يسكنه. كما أن تشبيه البيت الذي لا يقرأ في القرآن كالمقابر وكأن سكانه من الأموات.

٧٦- قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه للنبي صلى الله عليه وآله وسلم: قد شبت يا رسول الله قال: «شيبتني هود وأخواتُها الواقعة والمرسلات وعمَّ يَتَسَاءَلُونَ وإِذَا الشَّمْسُ كُوِرَت» رواه الترمذي[2].

سورة هود احتوت على آية الأمر بالاستقامة ﴿فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ﴾[هود: ١١٢] واللفظ ﴿فَٱدۡعُ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ﴾ [الشورى: ١٥] وهي حمل ثقيل بالأمر بالاستقامة كما أمر الله تعالى وهو أمر ليس خاصًا به بل لمن اتبعه أيضًا بقوله تعالى: ﴿وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطۡغَوۡاْ﴾[هود: ١١٢].

(١) رواه مسلم والترمذي وأحمد والنسائي.

(٢) بسند حسن صحيح وفي مشكاة المصابيح وفي الإقتراح لإبن دقيق العيد بسند صحيح.

وأما سور المرسلات وعم يتساءلون وإذا الشمس كورت فكلها وصف لشدائد يوم القيامة: يومًا يجعل الولدان شيبًا. وتنذر الناس إنذارًا شديدًا. ففي سورة المرسلات تكرار للويل للمكذبين عدة مرات وفي عمَّ يتساءلون وصف للقيامة بالنبأ العظيم وفي التكوير وصف للحوادث الكونية الرهيبة يوم القيامة وفي الواقعة كذلك فهي الخافضة الرافعة ووصف أحوال أصحاب أهل اليمين وأصحاب الشمال وأحوال السابقين السابقين اولئك المقربون.

٧٧- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين الجُمعتين» رواه البيهقي والحاكم وصححه.

وقد ورد في بعض الأحاديث قراءة سورة الدخان يوم الجمعة أو ليلتها أيضا.

٧٨- عن أبي الدرداء رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «من حفظ عشر آيات من سورة الكهف عُصِمَ من الدجال» رواه مسلم وأحمد والنسائي وأبو داؤد.

وفي رواية من آخر سورة الكهف[1] والأفضل الجمع بينهما بحفظ عشر آيات من أولها وعشر من آخرها والأفضل من ذلك حفظ السورة كلها وقراءتها أيام الجمع كما مرَّ في الحديث السابق.

٧٩- عن جندب قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من قرأ يس في ليلة ابتغاء وجه الله غفر له» رواه ابن حبان في صحيحه.

(١) حديث من قرأ العشر الأواخر من سورة الكهف عصم من الدجال عن أبي الدرداء رواه مسلم وأحمد والنسائي.

وقد روى عن معقل بن يسار[1] أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال «اقرأوا على موتاكم يس» رواه ابن حبان في صحيحه أيضًا.

٨٠- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: وكلني رسولُ اللهِ ﷺ بحفظِ زكاةِ رمضانَ، فأتاني آتٍ، فجعل يحثو من الطعامِ، فأخذتُه فقلتُ: لأرفعنَّكَ إلى رسولِ اللهِ ﷺ – فقصَّ الحديثَ – فقال: إذا أويتَ إلى فراشِك فاقرأْ آيةَ الكرسيِّ، لن يزال معك من الله حافظٌ، ولا يقربك شيطانٌ حتى تصبحَ. وقال النبيُّ ﷺ: (صدقك وهو كذوبٌ، ذاك شيطانٌ). رواه البخاري.

٨١- عن معاوية بن قرة قال: قرأ النبي صلى الله عليه وآله وسلم عام الفتح، في مسير له، سورة الفتح على راحلته .فرجَّع في قراءته. قال معاوية: لولا أني أخاف أن يجتمع عليّ الناس لحكيت لكم قراءته. رواه مسلم.

في هذا الحديث جواز بل استحباب التلاوة أثناء السفر والمشي والركوب وفي الطريق وقد روي ذلك عن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه. كما أن الحديث يدل على ضرورة تعاهد القرآن وتلاوته سفرًا وحضرًا كما أن تلاوة سورة الفتح يوم الفتح كانت سورة بالمناسبة مع أنها قد نزلت قبل ذلك، لذلك يسن تلاوة الآيات أو السور التي لها علاقة بالمناسبة التي يمر بها المرء في حياته.

٨٢- عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «من قرأ سورة الواقعة كلَّ ليلة لم تُصِبهُ الفاقَةُ أبداً» أخرجه أبو عبيد وأبو يعلى وابن مردويه والبيهقي.

---

(١) معقل بن يسار المزني أسلم بعد الحديبية وشهد بيعة الرضوان قيل هو الذي حفر نهر المعقل بالبصرة بأمر من عمر بن الخطاب رضي الله عنه فنسب إليه. مات في آخر خلافة معاوية.

وفي رواية الزيلعي في تخريج الكشاف عن ابن مسعود بسند جيد:«من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبدًا وقد أمرت بناتي يقرأنها كل ليلة».

٨٣- عن العرباض بن سارية(١) رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يقرأ المسبحات قبل أن يرقد ويقول: «إن فيهن آية خير من ألف آية» رواه **الترمذي**(٢).

المسبحات هن السور التي تبدأ بـ: سبح أو يسبح وهن خمس سور: الحديد والحشر والصف والجمعة والتغابن، ولعل الآية المشار إليها في الحديث ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ﴾[الحشر: ٢١] إلى آخر السورة.

القرآن كله خير وكله فاضل. فهل هناك آية أفضل من آية؟ كل القرآن كتاب الله لكن موضوع الآية وما تحتوي يختلف عن آيات أخر فليس موضوع قل هو الله أحد وهو خلاصة التوحيد كموضوع «تبت يدا أبي لهب» وهي ذم واحد من الكفار فالموضوعان مختلفان وبذلك فُضِّلت الآية الأولى من حيث موضوعها على الآية الثانية في موضوعها لكن كلا الآيتين سواء من حيث أنهما كلام الله تعالى. فالمسبحات تحوي تسبيحًا لله فبذلك موضوعها حسن وتحوي أواخر الحشر التي فيها أكثر عدد مجتمع من أسماء الله الحسنى في آيات متواليات في القرآن كله.

٨٤- عن معقل بن يسار رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «من قال حين يصبح ثلاث مرات أعوذ بالله السميع من الشيطان الرجيم وقرأ

---

(١) العرباض بن سارية: صحابي مشهور من أهل الصفة وكان يقول أنا رابع الإسلام. نزل حمص ومات سنة ٧٥ هـ.

(٢) حديث حسن.

ثلاث آيات من آخر سورة الحشر وكّل الله به سبعين ألف مَلَك حتى يُمسي وإن مات في ذلك اليوم مات شهيدًا ومن قال حين يُمسي كان بتلك المَنزِلة» رواه الترمذي[1].

الشهيد في الحديث هذا لعله أقل درجة من الشهيد الذي تشير إليه أحاديث أخر بأنه الذي يركب فرسه حتى يستشهد في سبيل الله فذلك شهيد في الجهاد في سبيل الله. أما الغريق فهو شهيد ومن تردى من جبل فهو شهيد ومن مات وهو يطلب العلم فهو شهيد ولعل الشهيد هنا هو بهذه المنزلة فهو بتلاوته هذه استودع الله تعالى ما أقر في هذه الآيات من اعتراف بوحدانية الله وخضوع لسلطانه وعهد بطاعته وهؤلاء جميعًا شهداء لكنهم أقل درجة من الشهيد الذي يقتل وهو يجاهد في سبيل الله.

٨٥- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من القرآن ثلاثون آية شفعت لرجل حتى غُفِرَ له وهي تَبَارَكَ الذِي بِيَدِهِ المُلْكُ» رواه أبو داوُد[2].

روى الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال ضرب بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم خباءَه (أي خيمته) على قبر وهو لا يعلم فإذا فيه إنسان يقرأ سورة تبارك الذي بيده الملك حتى ختمها فأتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال يا رسول الله ضَرَبتُ خِبائي على قبر وأنا لا أحسب أنه قبر فإذا فيه إنسان يقرأ تبارك حتى ختمها فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هي المانعة هي المنجية تُنجيه من عذاب القبر.

وعذاب القبر ثابت بالقرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا

(١) وقال غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

(٢) والنسائي وابن ماجة والحاكم وصححه والبيهقي وأحمد والترمذي وقال حديث حسن.

وَعَشِيًّا وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ﴾ [غافر: ٤٦] فهذه السورة تشفع لصاحبها الذي يكثر قراءتها وتمنع عنه عذاب القبر وتنجيه منه.

٨٦- عن عائشة رضي الله عنها قالت كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا ينام حتى يقرأ الزُمَر وبني إسرائيل. رواه الترمذي[1].

٨٧- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «من قرأ والتِّينِ والزَيتُونِ فانتهى إلى آخرها فليقل بَلى وأنا على ذلك من الشاهدين ومن قرأ لا أُقْسِمُ بيومِ القِيامُةِ فانتهى إلى أخرها أَلَيسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِي المَوتَى فليقل بلى ومن قرأ والمرسلات فَبَلَغَ بِأَيِّ حَدِيثٍ بَعدَهُ يُؤمِنُون فليقل آمنَّا بالله» رواه أبو داوُد والترمذي[2].

وهكذا على من يقرأ القرآن أن يكون حاضر الفكر فإذا مر بآية رحمة سأل الله أن يرحمه أو آية عذاب دعا الله أن يصرف ذلك عنه وإن مر باستفهام أجاب كما في هذه الآيات وبآية سجدة سجد وبآية دعاء رفع كفيه للدعاء وإن كان الدعاء طلبًا لصرف أمر مكروه قلب كفيه ودعا وكل ذلك مأثور عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

٨٨- عن سعيد بن المسيب أن النبي ﷺ قرأ في الصبح ﴿إِذَا زُلۡزِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ ﴾ في الركعتين كلتيهما. رواه أبو داوُد[3].

كما رود أن رسول الله ﷺ قال لرجل من أصحابه: هل تزوجت يا فلان قال لا

---

(١) حديث صحيح.

(٢) ضعفه الألباني.

(٣) بسند صحيح.

والله يا رسول الله ولا عندي ما أتزوج به قال أليس معك ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ قال بلى قال ثلث القرآن قال أليس معك ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ قال بلى قال ربع القرآن قال أليس معك ﴿قُلۡ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَـٰفِرُونَ﴾ قال بلى قال ربع القرآن قال أليس معك ﴿إِذَا زُلۡزِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ﴾ قال بلى قال ربع القرآن قال تزوج تزوج[1].

معادلة السور بجزء من القرآن بناء على ما تحتويه من مواضيع فالقرآن ترغيب وترهيب وسورة الزلزلة ترهيب من يوم القيامة فهي نصف الموضوعين وسورة الكافرون براءة من الكفر والكافرين وسورة الإخلاص إثبات للتوحيد وإقرار بصفاته وكل هذه أركان عظيمة من أركان الإسلام وهي خلاصة لجزء عظيم من الدين لذلك فقد عودلت بما ذكر من أجزاء من القرآن.

أما قراءة رسول الله ﷺ لسورة الزلزلة في الركعتين كلتيهما فدليل على جواز قراءة السورة نفسها في الركعتين كلتيهما.

٨٩- عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من قرأ بعد صلاة الجمعة قُلْ هُوَ الله أَحد وقُلْ أَعوذُ بِرَبِ الفَلَق وقُلْ أَعُوذُ بِرَبِ النَّاسِ سبع مرات أَعاذَهُ الله من السوء إلى الجمعة الأخرى» **رواه ابن السني - حديث صحيح**.

صلاة الجمعة تتكرر مرة في الأسبوع فهي صلاة مختصة بفضل عميم وتمام ذلك الفضل بانتهائها ثم الدعاء أو قراءة القرآن بعدها أو ذكر الله تعالى وما هذه السور سوى سور إقرار بوحدانية الله تعالى والدعاء والاستعاذة رجاء أن يستمر فضل هذه

(١) رواه الترمذي بسند حسن عن مالك بن أنس وأحمد في المسند والهروي.

السور وبركاتها إلى الجمعة الأخرى. فالمؤمن كالتاجر النهم لا يدع لحظة ولا مناسبة ولا وسيلة للربح إلاّ استخدمها وطلب الاستزادة من الثواب والبركات والدعاء رجاء أن يقع على لحظة يتجلى الله تعالى على خلقه فيها وينعم عليهم بالإجابة ومثل هذه المناسبات تتكرر كل صلاة وكل ليلة وكل جمعة وكل رمضان وكل حج وهكذا.

فقد قال الله تعالى بعد الأمر بصلاة الجمعة ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[الجمعة: ١٠] وقراءة القرآن مشمولة بذكر الله كثيرًا.

٩٠- بعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم رجلاً على سرية فكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم فيختم بقل هو الله أحد فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: «سلوه لأي شيء يصنع ذلك» فسألوه فقال لأنها صفة الرحمن فأنا أحب أن أقرأ بها فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أخبروه أن الله يحبه» رواه مسلم.

تشير هذه الآية إلى مدى الفهم العميق الذي كان عليه صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم للقرآن والشريعة. فإن إكثار الصحابي لتلاوة قل هو الله أحد حتى في كل ركعة لحبه تلك السورة كان أمرًا جديدًا محدثًا لم يسبقه أحد بذلك لا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا غيره من الصحابة فهو بدعة لكن تلك البدعة كانت بدعة حسنة لا بسبب تقرير وموافقة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم له لأن ذلك حدث فيما بعد ولكن بسبب أن تلك البدعة تتماشى مع روح الدين في تعظيم الله وتقديسه وحبه وحب الآيات من القرآن التي تعظم صفاته. ثم بعد ذلك جاء الحديث الشريف هذا في إقرار ما قام به الصحابي واعتبار فعله سنة يجازى

بها يحب الله تعالى له وهذا مكمل لما سبق أن ذكر في الحديث ٣٤ حول السنة والبدعة.

٩١- عن عقبة بن عامر[١] رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «ألم تر آيات أُنزلت هذه الليلة لم يُرَ مثلهن قط: قل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس» رواه مسلم.

حقًا إن كل آية أو مجموعة من آيات في القرآن ليس لها مثيل فهاتان السورتان سورتا استعاذة ليس لهن مثيل في القرآن كله ولم يعرف العرب لهن مثيل في كلامهم وقد اختصتا بالاستعاذة والرقية وبفضل كبير.

٩٢- عن أسماء بنت زيد رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣] وفاتحة آل عمران ﴿الم ﴿١﴾ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [آل عمران: ١-٢]. رواه الترمذي[٢].

لله تعالى تسع وتسعون اسمًا من حفظها دخل الجنة وحفظ تلك الأسماء هو استظهارها والعمل بما تأمر به والتلبس بما تعنيه من تجليات وقد أخفى الله تعالى بين تلك الأسماء إسمه الأعظم وقد ورد في هذا الحديث وفي أحاديث أخر إشارات إلى مواضع الإسم الأعظم في القرآن الكريم أو بين أسمائه تعالى. وقد اختلف العلماء في الاسم الأعظم كثيرًا وهو مما أخفاه الله تعالى كليلة القدر بين الليالي العشر الأواخر

(١) عقبة بن عامر الجهمي كان عالمًا بالفرائض والفقه فصيح اللسان شاعرًا وهو أحد من جمع القرآن عن عهد عثمان رضي الله عنه مات في خلافة معاوية.

(٢) حديث حسن صحييح ورواه كذلك أبو داؤد وابن ماجة والبيهقي والدارمي وأحمد وابن أبي شيبة.

من رمضان وساعة الإجابة يوم الجمعة.

والاسم الأعظم هو الاسم الذي إذا دعي الله به أجاب. وكل أسماء الله تعالى الحسنى التسع والتسعين مذكورة في القرآن.

الباب التاسع

الأجر على تلاوة القرآن والرقية به

٩٣- عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فإذا قوم يقرأون القرآن قال: «إقرأوا القرآن وابتَغَوا به الله عز وجل من قبل أن يأتي قوم يُقيمونه إقامة القَدحِ يَتعجَلونه ولا يَتأَجَّلونه» **رواه الإمام أحمد وأبو داوُد**[١].

القدح آنية للشرب فكأن من يبتغي بتلاوة القرآن غير وجه الله كمن يستخدم القرآن آنية لإشباع شهواته من طعام أو شراب أو اكتساب المال أو الشهرة والسمعة.

٩٤- عن عمران بن حصين[٢] رضي الله عنه أنه مرَّ على قاصّ يقرأ ثم سأل فَاستَرجَعَ ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «من قرأ القرآن فليسأل الله به فإنه سيجيءُ أقوام يقرأون القرآن يسألون به الناس» **رواه الترمذي وحسنه.**

في هذا القرآن نهي واضح عن الاستجداء بالقرآن وسؤال الناس عرض الدنيا بالقرآن. فما لذلك أنزل الله كتابه بل أنزله هدىً للناس وبينات من الهدى والفرقان

---

(١) حديث حسن وصححه الوادعي على شرط مسلم.

(٢) عمران بن حصين الخزاعي أسلم عام خيبر وكان رجلاً فاضلاً، عُيِّن قاضيا بالكوفة وتوفي سنة ٥٢هـ بالبصرة.

ونور ورحمة وعلى المسلم أن يسأل الله وحده بالقرآن والاسترجاع هو قول إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون أي أنه أسف حين رأى من يقرأ القرآن ويسأل الناس الأجر.

٩٥- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال كنا في مسيرٍ لنا فَنَزَلنا فجاءت جارية فقالت إبن سيد الحي سليم(١) فهل معكم راقٍ؟ فقام معها رجل فَرَقاهُ بأم القرآن فبرئَ فذكر للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: «وما يدريه أنها رُقيَة؟» **رواه البخاري.**

وتتمة الحديث في رواية أخرى أن القافلة قد طلبوا أن يضيفهم أصحاب الحي فأبوا لكنهم بعد أن طُلب منهم أن يرقوا اللديغ طلب الصحابي على ذلك أجرًا فأخذ أجره من الغنم بعد أن برئ ابن سيد الحي فلما ذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «واضربوا لي منها بِسهمٍ» أي شاركوني في ما أهدي إلى الرجل من أجر على رقيته للديغ تأكيدًا منه صلى الله عليه وآله وسلم على أن المال الذي أخذه الرجل حلال.

إن كتاب الله عز وجل ليس هو الذي يشفي أو يبرئ فالله هو الذي بيده كل شيء قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا﴾[الرعد: ٣١]. هذا في الوقت نفسه فإن الله تعالى قد أودع في هذا القرآن الكريم أسرارًا وبركات جَمَّة بحيث إذا تلي شيء منه في وقت معين من قبل أشخاص مؤمنين برئ المريض وشفي السقيم كما قال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾[الإسراء: ٨٢].

(١) سليم من كلمات الأضداد أي مريض وكان قد لدغته حية أو عقرب.

والرقية علاج نفسي ثبتت فائدته بالتجربة وأكّده علماء النفس والأطباء المحدثون ولا ينحصر تأثيره على الأمراض النفسية بل يتعدى ذلك إلى الأمراض العضوية التي تعود أسبابها إلى أسباب نفسية كالرعب والخوف وما أشبهها التي تحتاج إلى طمأنينة لنفس المريض ودفع القلق والاضطراب النفسي عنه ولا غرابة في ذلك فمن أودع في الدواء أسرارًا لتتغلب على الأعراض المرضية ومن ثم الشفاء هو نفسه جلّ وعلا قد أودع أسرارًا مشابهة في كتابه وكلامه ولدى الصالحين من عباده وفي الأوقات المباركة المخصوصة من الزمان ولله الأمر جميعًا.

٩٦- عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إن أحق ما أخذتم عليه أجرًا كتابُ الله» **رواه البخاري**.

قال أبو الليث السمرقندي في كتاب بستان العارفين: التعليم على ثلاثة أوجه أحدها للحسبة ولا يأخذ به عوضًا والثاني أن يعلّم بالأجرة والثالث أن يعلّم بغير شرط. فإن أُهدي إليه قبل الهدية. فالأول مأجور وهو عمل الأنبياء عليهم السلام. والثاني مختلف فيه: قال أصحابنا المتقدمون لا يجوز لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «بلّغوا عنّي ولو آية» وقال جماعة من المتأخرين يجوز ... وقالوا والأفضل للمعلم أن يشارط الأجرة للحفظ وتعليم الكتابة فإن شارط لتعليم القرآن أرجو أنه لا بأس له لأن المسلمين قد توارثوا ذلك واحتاجوا إليه. وأما الثالث فيجوز في قولهم جميعًا لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان معَلّما للخلق وكان يقبل الهدية ولحديث اللديغ لما رقوه بالفاتحة وجعلوا له جُعلا وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم «واضربوا لي معَكُم فيها بسهمٍ»[1].

(١) البرهان في علوم القرآن الجزء الأول صفحة ٤٥٧.

لعل هذا الحديث تكملة لحديث اللديغ السابق لما قرره الصحابة في الأكل من أجر الذي رقى بالفاتحة بعد أن اتفق معهم على أن يجعلوا له جعلاً. أما احتراف الرقية بالقرآن ابتغاء الكسب فهذا ما نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الأحاديث السابقة ٩٣ و٩٤.

٩٧- عن عائشة رضي الله عنها قالت كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذتين ويَنفُثُ فلما اشتدَّ وجعه كنت أقرأ عليه وأمسح بيده رجاء بركَتِها. **رواه الثلاثة.**

في هذا الحديث دليل على شدة الحاجة للرقية، فإن كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يرجو من الله الشفاء بقراءة المعوذتين فما بال غيره من المسلمين لا يرجون ذلك. وفي الحديث دليل على جواز الرقية من المفضول لمن هو أفضل منه فكانت عائشة رضي الله عنها ترقي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو سيد العالمين وترجو بذلك أن يصيبها بعض بركاته بمسح يده.

٩٨- عن أبي بن كعب[1] رضي الله عنه قال كنت عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم فجاء أعرابي فقال يا نبي الله إن لي أخ وبه وجع قال ما وجعه؟ قال به لَمَمٌ قال فأتِني به فوضعه بين يديه فَعَوَذَه النبي صلى الله عليه وآله وسلم بفاتحة الكتاب وأربع آيات من أول سورة البقرة الآيات: ﴿الٓمٓ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ﴾.. إلى قوله ﴿يُؤۡمِنُونَ﴾ وهاتين الآيتين: ﴿وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ﴾ [البقرة: ١٦٣] وآية الكرسي وثلاث آيات من آخر سورة البقرة من قوله تعالى: ﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [البقرة:

(١) أبي بن كعل الأنصاري سيد القراء كان من أصحاب العقبة الثانية وشهد بدرًا والمشاهد كلها.

٢٨٤].. إلى آخر السورة، وآية من آل عمران ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ [آل عمران: ١٨] وآية من سورة الأعراف ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ﴾ [الأعراف: ٥٤] وآخر سورة المؤمنين (الآيات ١١٦ و١١٧ و١١٨) ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ﴾ [المؤمنون: ١١٦] والآية ٣ من سورة الجن ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾ [الجن: ٣] وعشر آيات من أول سورة الصافات من قوله تعالى: ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا﴾ [الصافات: ١].. إلى قوله ﴿ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴾ [الصافات: ١٠] وثلاث آيات من آخر سورة الحشر من قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ﴾ [الحشر: ٢٢].. إلى آخر السورة، و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ والمعوذتين فقام الرجل كأنه لم يشك قطُّ. أخرجه عبد الله بن أحمد في زوائد المسند بسند حسن.

الآيات المذكورة في هذا الحديث آيات اختارها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لتكون رقية وقد اختص الله تعالى تلك الآيات بتلك الخاصية.

إن الرقية بالقرآن لا تتعارض مع التداوي واستعمال الدواء بل إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمر بالدواء وقال: «إن لكل داء دواء فإذا وقع الدواء على الداء برئ المريض بإذن الله تعالى»[1] ولا شفاء لداء واحد هو الداء الذي قد كتب الله عليه حلول أجل الإنسان وموته.

٩٩- عن عائشة رضي الله عنها قالت كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نَفَثَ فيهما فقرأ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَد وقُلْ أَعُوذُ بِرَبِ الفَلَقِ وقُلْ أَعُوذُ بِرَبِ النَّاسِ ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده يبدأ بهما على رأسه

(١) رواه مسلم وأحمد عن جابر بن عبد الله.

ووجهه وما أقبل من جسده يفعل ذلك ثلاث مرات. رواه البخاري.

كما أخرج الترمذي وأبو داؤد والدارمي عن عروة بن نوفل عن أبيه أنه قال يا رسول الله علمني شيئا أقوله إذا أويت إلى فراشي فقال: «إقرأ قُلْ يَا أَيُّهَا الكَافِرُون فإنها براءة من الشرك».

النفث في اليدين والمسح على الجسد كناية عن جمع بركات الدعاء وتوزيعها على الجسد وليس في الدعاء ما يمسح أو يجمع باليدين لكن مثل ذلك حصر فيه للفكر واستجماع لأفعال الجوارح في وقت الدعاء نفسه لكي يكون الإنسان طيلة وقته مركزًا بفكره وجوارحه على الدعاء كما أن بركات الدعاء تخالط نفَس الإنسان وبذلك فإن نفثه ومسح الجسد توزيع لتلك البركات على الجسد كله والله أعلم.

١٠٠- عن شداد بن أوس[١] قال، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«ما من مسلم يأخذ مضجَعَهُ فيقرأ سورة من كتاب الله تعالى إلا وَكَّلَ الله به مَلَكًا يحفظه فلا يقربه شيء يؤذيه حتى يَهبَّ متى هبَّ» أخرجه أحمد والترمذي[٢].

الملائكة خلق من خلق الله يأمرها الله بحفظ من يشاء وبفعل ما يشاء وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن سورة الأنعام نزلت مرة واحدة يشيعها سبعون ألف ملك لهم زجل بالتسبيح والتحميد[٣] فآيات الله عند تلاوتها يستمع إليها الملائكة وتحف من يجتمع لقراءتها وعندما ينوي المرء تلاوتها عند مضجعه يوكل الله

---

(١) شداد بن أوس بن ثابت الخزرجي ابن أخي حسان بن ثابت شهد أبوه بدرا واستشهد بأحد. سكن شداد حمص، وتوفي بفلسطين أيام معاوية ودفن ببيت المقدس عام ٥٨هـ وهو ابن خمس وسبعين سنة.

(٢) ورد في الترغيب والترهيب للمنذري ورواته رواة الصحيح لكن ضعفه الألباني.

(٣) حديث غريب عن عبد الله بن عمر في حلية الأولياء لأبي نعيم.

الملائكة بحفظه حتى يستيقظ. وما الخواص التي اختصت بها سور معينة في أوقات معينة كسورة الكهف يوم الجمعة وكآية الكرسي بعد كل صلاة وأواخر سورة البقرة وأواخر سورة الحشر وغيرها إلاّ آيات يحفظ الله بها عباده بواسطة ملائكة يوكلهم الله بذلك. وهذه الخواص لا يحس بها عامة الناس فالله يودع أسراره من يشاء ومتى يشاء وهو على كل شيء قدير. فلا أحد يستطيع الجزم بسبب تفضيل سورة الكهف يوم الجمعة وعصمة قارئها من الدجال أو غيرها من الآيات والسور التي أُثرت عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فهي أمور تردنا منه صلى الله عليه وآله وسلم ونرجو بها الثواب من الله تعالى يوم القيامة وإصلاح أمور الدنيا.. ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

﴿ ۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [الحديد: ١٦].

صدق الله العظيم

المحتويات